

بدل الاشتراك عن سنة

٦٠ في مصر والسودان

٨٠ في الأقطار العربية

١٠٠ في سائر الممالك الأخرى

١٢٠ في العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

مكتب الاعلانات

٣١ شارع سليمان باشا بالقاهرة

تليفون ١٣٠١٣

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire
Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المشول

محمد الزماخشي

٣٣

الإدارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

الغابة الخضراء - القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العدد ٢٢٣ « القاهرة في يوم الاثنين ٦ شعبان سنة ١٣٥٦ - ١١ أكتوبر سنة ١٩٣٧ » السنة الخامسة

فلسطين

والسياسة الانجليزية الجديدة

للأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني

آرت الحكومة البريطانية أن تغلظ في فلسطين غلظتها في مصر، فاعتقلت رجال اللجنة العربية العليا، وحملتهم في بارجة حرية تخشى بهم الآن إلى سيشيل. وهذا عين ما صنعته في مصر لما ساق بالحرمة الوطنية فيها ذرعاً، وتوهت أنها إذا قبضت على رجال الوفد سهل عليها بعد ذلك أن تكفل الراحة لنفسها، والاطمئنان على تحقيق غاياتها في مصر. فذهب الزعماء إلى سيشيل وبقوا فيها ماشاءت السياسة البريطانية، فلم تحمد الحركة الوطنية، ولم يعدل المصريون عن مطالبهم بالاستقلال، ولم يكفوا عن السعي لاسترداد حريتهم القومية، ولم ترجح كفة المتدلين بعد أن أقصى الذين كانت تسميهم المتطرفين، وانتهى الأمر بالافراج عن المعتقلين واطلاق سراحهم وعودتهم إلى وطنهم، ثم لم يجد السياسة البريطانية بدأ من الرجوع إلى هؤلاء المتطرفين وغيرهم من زعماء البلاد للاتفاق معهم على حل تستقر به العلاقات بين البلدين على حدود مقولة معروفة

فهرس العدد

صفحة	الموضوع
١٦٤١	فلسطين والياسة الانجليزية الجديدة ... الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازني
١٦٤٣	حوادث الشرق الأقصى : بقلم باحث دبلوماسي كبير ...
١٦٤٦	ياقوت ... : الأستاذ محمد كرد علي ...
١٦٤٨	إلى لبنان صور وخواطر : الأستاذ علي الطنطاوي ...
١٦٥١	الأدباء المحترفون ... : الأستاذ مصطفى جواد ...
١٦٥٤	الفلسفة الشرقية ... : الدكتور محمد غلاب ...
١٦٥٧	الفروسة والثرية ... : السيد جريس القوس ...
١٦٦٢	الاسلام في غرب افريقية : الأديب جمال الدين محمد الشيال ...
١٦٦٥	المبكل ... : السيد عارف قياصة ...
١٦٦٦	قل الأديب ... : الأستاذ محمد اسعاف النشاشيبي ...
١٦٦٨	هكذا قال زرادشت ... : الفيلسوف الألماني فردريك نيتشه ...
١٦٦٩	اللويون والتمس ... : الأديب محسن شيشكلي ...
١٦٧٠	الشعر (قصيدة) ... : الأستاذ غفرى أبو السعود ...
١٦٧١	تعالى ... ! (قصيدة) : الأديب محمود السيد شعبان ...
١٦٧٢	الفن الهندي ... : الدكتور احمد موسى ...
١٦٧٤	ترجمة جديدة لجان جاك روسو - على مثال نوبل ...
١٦٧٥	إحياء النحور لاراهيم مصطفى - عند مؤتمر عالمي في القاهرة للبحث في مسائل الشريعة الاسلامية ...
١٦٧٦	تعديل النجوم الفريغورى - إلى صديق الأستاذ علي الطنطاوي
١٦٧٧	يوم قياصة (قصة) ... : الأستاذ دريني خشبة ...

والأساليب العنيفة ، فقد كان يحسن بالحكومة البريطانية أن تذكر أن الذين اغتيلوا كان أكثرهم من العرب ، وأن ممن وقع الاعتداء عليهم بعض زعماء العرب أنفسهم ، وأن هناك اغتيلات وقعت من الصهيونيين أيضاً ، وهذا مالا شك فيه . فلماذا تأخذ العرب وحدهم بذلك وتدع الصهيونيين ؟ على أن زعماء العرب لم يكفوا قط عن دعوة الشعب إلى التزام السكنية والهدوء ، وضبط النفس والمحافظة على اتزان الأعصاب حتى في أعصب الأوقات ، لأنه ليس مما يساعد على تحقيق غاية العرب ويكفل للزعماء الفوز بالحصول على ما يشدونه من الحرية ومن المحافظة على حقوق البلاد أن يقع اضطراب يمكن أن يستتله خصوم القضية العربية وأنصار الوطن القومي والصهيونية . فحوادث الاغتيال التي وقعت هي في الحقيقة معاكسة لمساخى العرب وإساءة إليهم ؛ ولو وسع زعماء العرب أن يقطعوا دابرها لفعلوا ولما ترددوا ، ولكنهم ليسوا الحكومة ، وليس أمر الأمن والنظام إليهم ، ولا في أيديهم زمامه ؛ فمن أشد الظلم وأصرخه أن يؤخذوا بما يشكونهم منه ويرون فيه إجحاطاً لسعيهم ومناوأة لهم

ومن الواضح أن هذا مظهر اضطراب شديد في السياسة البريطانية ، فقد كان المفهوم من موقف ممثليها في عصبة الأمم أنها لم تعد ترى في مشروع التقسيم حلاً مقبولاً لمسألة فلسطين ، وأنها ستعيد النظر في الأمر ؛ بل لقد صرحت أنها تنوي أن تبعث إلى فلسطين بلجنة أخرى تتناول الموضوع بالدرس والبحث من جديد ، وتفاوض رجال العرب وزعماءهم ويمثلي الصهيونية لعلها تهتدى إلى حل آخر يكون أكفلاً بإرضاء الفريقين . وكان المفهوم أيضاً أنها بهذا تفسح لنفسها في الوقت وترجيء الحل إلى أن يتيسر ؛ ولا يتفق هذا وسلوكها العنيف ، فإن الذي يريد المفاوضة والتفاهم لا يلبجأ إلى الشدة والضرب على الأيدي والتجسس . ومن عساعا تفاوض أو مع من ترجو أن تتفاهم إذا كانت تشرذم الزعماء في نواحي الأرض وتقسيمهم ؟ أتفاوض العامة أو من ياترى ؟ وما هي الجدوى على كل حال من هذه السياسة العنيفة ؟ سؤال نلقيه ونحن نتعجب ، فإن اعتقال رجال اللجنة العربية لا ينفج أحداً من الإنجليز أو الصهيونيين ، لأن هؤلاء الرجال إنما يتخلون رأياً الأمة ويتكلمون باسمها ، والإنجليز يشاؤون أن يشكوا في ذلك ،

والذي فعلته السياسة البريطانية في مصر وأخفقت فيه ، ولم نجد منه جدوى ، تفعله الآن في فلسطين ، وما نظن بها إلا أنها ستخفق هناك أيضاً . فإن رجال اللجنة العربية العليا ليسوا رجال تهيج ، ولا هم الذين يحرصون على أعمال الإرهاب أو الاغتيال التي أثارته مائة البريطانيين ، وأغرتهم بهذا العنف الذي تأخذ به زعماء العرب الآن ، وإنما هم رجال سياسة يطالبون بحق بلادهم ويدافعون عنه ، ويسمون للفوز به بالطرق المشروعة . ومن غرائب التفكير المقلوب أن الصحف البريطانية تقول في تعليقها على هذا الاعتقال والنفي إن القبض على التطرفين خليف أن يفسح المجال لعيرهم من المعتدلين ، ويشجعهم على الظهور والمائلة بأرائهم التي كانوا يخافون الجهر بها . وتنسى هذه الصحف أن الأمر ليس أمر اعتدال وتطرف ، وإنما هو أمر حق للبلاد يطالبه الجميع بلا فرق ، ويجمعون عليه بلا تفاوت أو شذوذ أو اختلاف . ومن البعيد جداً أن يجروا أحد على التقدم باسم الاعتدال والمعتدلين بعد أن نكلت الحكومة البريطانية برجال اللجنة العربية العليا . وأخلق بكل عربي من أهل فلسطين أن يستنكر هذا العنف الذي لا مسوغ له ، وذاك الظلم الذي ينزل برجال اللجنة العربية . والمقول أن يتمتع العرب — متطرفهم والمعتدلون منهم إذا صح أنهم فريقان — عن التقدم إلى الإنجليز لمفاوضة أو مباحثة قبل أن يرفع الظلم عن اخوانهم . وإذا صح أن في فلسطين اعتدالا وتطرفاً وأن المعتدلين كانوا يخشون الظهور بأرائهم الحقيقية أمام التطرفين — وهو ما لا نعتقد أنه صحيح — فالبداهة تقول إن هؤلاء حقيقون أن يخشوا الظهور الآن بعد الذي كان من الاعتقال والنفي حتى لا يهيموا بالتواطؤ مع البريطانيين على إقصاء رجال اللجنة العربية عن الميدان

فان الذي فعلته الحكومة البريطانية لا خير فيه ولا جدوى منه ؛ وكل ما هو خليف أن يثمره هو أن يقع في روع العرب أن بريطانيا ممثلة للصهيونية ، ومناوئة للعرب ؛ وأنها تلجأ الآن إلى وسائل الضنط والعنف والتخويف والإرهاب بعد أن أعيتها الأساليب السياسية . وإلا فلماذا تختص بريطانيا العرب بهذا العنف وتمخاشهم على حين تسالم الصهيونيين وتمسانهم ؟ وإذا كانت حوادث الاغتيال التي وقعت هي التي استوجبت اللجوء إلى هذه

في التاريخ السياسي

حوادث الشرق الأقصى والحرب بين الصين واليابان بقلم باحث دبلوماسي كبير



تضطرم الحرب في الشرق الأقصى بين الصين واليابان منذ ثلاثة أشهر ؛ وهي حرب غير رسمية ، بدأت لأسباب تافهة ، يتسع نطاقها بسرعة ، وأضحت خطراً حقيقياً على السلام . ومن المحقق أنها لم تكن لتتنبأ لو لم ترد اليابان نشوبها . وأن اليابان شهرها على الصين وفقاً لخطة مقررة ، وتحقيقاً لتأيات بعيدة المدى ؛ وهي ليست في الواقع إلا خطوة جديدة في سبيل تنفيذ سياسة التي رسمتها اليابان لبيسط نفوذها على الصين واستعمارها . وقد بدأت هذه السياسة منذ سنة ١٩٣١

وأن يزعموا أن هناك ممثلين مستعدين للظهور والتقدم متى خلا المجال من هؤلاء التطرفين الإرهابيين . وسيرى الإنجليز أنهم في هذا مخطئون كخطئهم في اعتقال زعماء المصريين مرتين وتقيهم أولاً إلى مالطة ثم إلى جزيرة سيشيل . وسيتبين الإنجليز أنهم أوعروا صدور العرب بلا موجب ومن غير عوض ، وحملوا العرب في كل مكان على إساءة الظن بالسياسة البريطانية بمد أن كان العرب يعتقدون أن بريطانيا حليفة طبيعية لهم ، وأنها أولى بصدقتهم ومخالفتهم . ولا ندري ماذا تكسب بريطانيا من إسقاط العرب وإيقار صدورهم ؛ ولكننا ندري أن بأسمهم من صداقتها ومن إمكان التفاهم مما بالعدل والإنصاف قد يدفعهم إلى ما تكره بريطانيا ويحملهم على النظر في أمرهم من ناحية جديدة ، وعلى طلب حقهم بوسائل جديدة . فإذا كان في هذا مكسب للسياسة البريطانية فإنه ينقصنا أن نعرفه . ولن يكون العرب إلا معذورين إذا التمسوا حقهم من طريق آخر غير طريق الاعتماد على روح العدل والإنصاف عند بريطانيا

البراهيم عبر القارر المازني

حينما غزت اليابان ولاية منشوريا بحجة المحافظة على مصالحها وأرواح رعاياها من فوضى الإدارة الصينية ، وانتهت بفتح هذه الولاية واقتطاعها من الصين ، وإقامة حكومة صورية فيها تخضع لرأيها وتآمر بأوامرها ؛ وكان فتح اليابان لمنشوريا اعتداءً صريحاً على الأراضي الصينية تؤيده القوة الغاشمة وحدها ؛ ولكن اليابان لم تحفل بما أناره الاعتداء يومئذ لدى الدول العظمى من ضروب الاحتجاج والتوجس ، ولم تحفل بنوع خاص بتدخل عصبة الأمم ولا بما اتخذته ضدها من قرارات تقرر مسئوليتها وعدوانها ، بل قابلت هذا التدخل بالانسحاب من العصبة ، ومضت في تنفيذ خطتها بجرأة لا مثيل لها . ولم تكف بفتح ولاية منشوريا والاستيلاء عليها ، بل حاولت أن ترغم الصين على الاعتراف بهذا الفتح ، فبعت جيوشها إلى الأقاليم المجاورة لتفرض على كل مقاومة صينية ، وغزت ثغر شنغهاي لكي تهدد حكومة نانكين الوطنية وتجعلها على الخضوع لمطالبها ؛ ولكن الحكومة الوطنية قابلت القوة بمثلها ، واستطاعت أن ترد القوات اليابانية عن ثغر شنغهاي بمد معارك طاحنة ، ووقفت الأمور يومئذ عند هذا الحد وقفت اليابان مؤقتاً بنيتها الأولى

ومن ذلك الحين واليابان تفصح بين آونة وأخرى عن خططها ونياتها نحو الصين بأعمال وأقوال لا تترك مجالاً للشك في مقاصدها الحقيقية ؛ فهي لم تكف تستقر في منشوريا حتى عادت تهدد الأقاليم الصينية الشمالية في منطقتي شاهاار وجيهول ، وتثير عليها من آن لآخر لمختلف الأعذار والحجج . ولما كانت الحكومة الصينية الوطنية في ظروف لا تمكنها من إرسال جيوشها إلى تلك الأقاليم النائية ، فقد تركت أمر المقاومة للجيوش المحلية ؛ ولكن الجيوش المحلية قاصرة الأهبة والمدد ، ولا يضمن ولاؤها دائماً ؛ ومن ثم استطاعت اليابان بتفوقها الحرب أن تبسط على منطقة شاسعة من الأقاليم الشمالية شبه حماية عسكرية . كل ذلك وحكومة نانكين الوطنية تستغيت بعصبة الأمم وباللدى العظمى التي ضمنت بماهدة « الدول التسع » استقلال الصين وسلامة أراضيها ، فلا نجد منيئاً غير الاحتجاج والتصريحات العقيمة ؛ واليابان فيما بين ذلك تتوغل تباعاً في أراضيها لا تلتوي على شيء

ومنذ عامين طلعت اليابان على الدول بتصريح جديد في غاية الخطورة ، خلاسته أن اليابان لا تطبق بمدى أى تدخل جديد من الدول الغربية في شئون الصين ، وأنها تعتبر أي محاولة جديدة من جانب الدول الغربية لتوسيع نفوذها أو مناطق امتيازها في الصين عملاً غير ودي بالنسبة إليها . ولم تقصد اليابان بهذا التصريح الذي صيغ على مثال تصريح منزو الأمريكي أن تعلن عطفها على الصين أو تضامنها معها ضد عدوان الدول الغربية ، كما قصدت السياسة الأمريكية باعتناق مبدأ الرئيس منزو وطبقته منذ نحو قرن بهذا المعنى بالنسبة للدول الأمريكية ، ولكنها قصدت غاية أخرى أبعد مدى ، وهي أن تجعل من الصين ميداناً لنشاطها الاستثماري دون الدول الأخرى ، وأن تستأثر وحدها بتوسيع نفوذها السياسي والاقتصادي في مناطقها النائية ، وأن تقطع من أراضيها ما استطاعت كما فعلت بالنسبة لكوريا ومنشوريا . وعلى هذا الأساس الغريب أرادت اليابان أن تفهم فكرة الجامعة الآسيوية وأن تطبقها ، فهي ترى أنها أحق الأمم باستعمار الصين ، وأنه إذا كانت الصين لا تستطيع أن تنظم شئونها وتجمع كلمتها ولا أن تدافع عن نفسها الاستعمار الغربي ، فإن اليابان تأخذ على نفسها تلك المهمة بوضع الصين تحت نفوذها وحمايتها ، وبذلك يمكن في نظر اليابان أن تحقق فكرة الجامعة الآسيوية ومبدأ آسيا للأسيويين . وقد كان لهذا التصريح وقع عميق في أوروبا وأمريكا ، ولكنه مر كما تمر باقي الحوادث في الشرق الأقصى أمام نظر الدول وسمعتها ولم يترسوى الاحتجاجات الدبلوماسية العادية . ذلك أن أوروبا مشغولة بمشاكلها الخاصة ، والدول العظمى متخاصمة مفرقة الكلمة ، ولم يعد للجهة الأوربية القديمة قيمة دبلوماسية ذات شأن ؛ واليابان تعرف هذه الظروف وتستغلها ، وتعرف أن سياسة المفاجأة والأمم الواقعة في الشرق الأقصى لا يمكن أن تأتي في مثل هذه الظروف من أوروبا الممزقة المشغولة بخصوماتها وخلافاتها الخاصة مقاومة يمتد بها

وعلى هذا النوال قامت اليابان في العام الماضي بحركتها لفصل الصين الشمالية عن الصين الجنوبية ، وحاولت بالقوة القاهرة أن تملئ إرادتها على زعماء الشمال وعلى حكومة نانكين وأن تفرض على الولايات الشمالية نوعاً من الحكم المستقل يكون تحت إشراف

السلطات العسكرية اليابانية ، وقرنت الوعيد بالعمل ففزت الأقاليم الشمالية وهددت بكين العاصمة القديمة ، ووجهت بلاغاً نهائياً إلى الحكومة الوطنية ؛ بيد أن الحكومة الوطنية أبت أن تدعن للوعيد ؛ ولكنها اضطرت أن تترك الشمال لمصيره ، واستطاعت اليابان أن تحقق مشروعها بإرغام زعماء الشمال على إنشاء إدارة مستقلة عن حكومة نانكين

ولم تمض على هذه الحركة التي تفصح عما وراءها بضعة أشهر حتى شهرت اليابان على الصين تلك الحرب الجديدة التي يتسع نطاقها يوماً عن يوم ، والتي شملت الشمال والجنوب ، والبر والبحر والهواء ؛ واتصلت اليابان لإثارتها عنذراً تافهاً هو أن حامية بكين أطلقت النار على جنود يابانية كانت تقوم بمناورات في البقعة المجاورة وظهر فيما بعد أن جنود الحامية اعتقدوا خطأ أن اليابانيين ينظمون على الحامية هجوماً حقيقياً . ولو كانت اليابان تعمل عن حسن نية وتقصد الانتصاف لجنودها فقط لا كتفت بالاجراءات الدبلوماسية التي تتخذ في مثل هذه الأحوال من طلب الاعتذار والتوضيح ؛ ولكن اليابان ، وهي تعمل وفقاً لخطه استعماريه مرسومة ، اتخذت هذا الظرف ذريعة للقيام بحركة جديدة واسعة النطاق لتحقيق خططها ، فوجهت إلى الحكومة الوطنية إنذاراً نهائياً بقبول مطالبها الخاصة بفصل الأقاليم الشمالية ، وغزت جنودها في الحال إقليم شاهاار ، وبميت جيشاً وأسطولاً إلى شنتهاي أعظم الثغور الصينية ، ونفذت قواتها البحرية إلى النهر الأصفر (بنج نسي) متجهة إلى نانكين عاصمة الصين الوطنية ، وضربت الحصار البحري على جميع شواطئ الصين ، ونظمت على المواسم الصينية الآهله مثل كتون وناكين وبكين عدة غارات جوية فتكت بالكان الآمنين ، وما زالت الجيوش اليابانية تندفق على الصين من الشمال والجنوب ، ونطاق الحرب يتسع بسرعة مروعاً . أما الحكومة الصينية الوطنية فقد رفضت منذ البداية كل المطالب اليابانية وأعلنت عزمها الثابت على مقاومة الاعتداء بكل قوتها ؛ وأعلن المارشال تشانج كايشك رئيس الحكومة الوطنية وقائد جيونها أن الصين سوف تقاوم حتى يجلو آخر ياباني عن الأراضي الصينية . وهكذا اضطرت الحرب في الصين بين الجيوش اليابانية المنيرة وبين الجيوش الصينية المدافعة ، ومع أنها لم تعلن بعد بصفة

الوطنية في مقاومة الغزو الياباني ، ومن أسطع الأمثلة على ذلك أن الحزب الشيوعي الذي كان أخطر منافس للحكومة الوطنية ، أعلن انحلاله ووضع قواته العسكرية تحت تصرف الحكومة الوطنية ؛ وهكذا تلقى اليابان أمامها بدلاً من الصين الممزقة المتخاصمة جبهة موحدة تجمع على الكفاح والمقاومة ؛ وهكذا يثير الخطر الخارجي ضرام الوطنية الصينية مرة أخرى بعد ما فترت في الأعوام الأخيرة ، ويمد الصين بقوى معنوية عظيمة في هذا الصراع الذي يقصد به تمزيق وحدتها والقضاء على كيائها القومي . وسيكون الفصل في هذا الصراع للقوة المادية قبل كل شيء ، ولكن لا ريب أن اليابان تزج بنفسها في مفاخرة عظيمة خطيرة المواقب ، وهي قد تبحر اليوم بتفوقها الحربي بعض الانتصارات الماجلة ، ولكن الصين قطر بل قارة عظيمة مترامية الأطراف ، ذات موارد هائلة ، وكلما طالت الحرب نقل عبئها على اليابان وعلى مواردها المحدودة ؛ هذا إلى أن الصين الوطنية قد اكتسبت في الحروب الأهلية المتوالية خبرة عسكرية لا بأس بها ؛ وسوف نرى في المستقبل القريب ماذا تسفر عنه هذه الحرب الاستعمارية التي لا سند لها من الحق أو العدالة أو القانون (***)

الحاكم بأمر الله

وأسرار الدعوة الفاطمية

بقلم الأستاذ محمد عبد الله عنان

وهو آتم وأوفى بحث كتب عن الحاكم بأمر الله، وشخصيته العجبية ، وحياته الدهشة ، واختفائه المؤسى ؛ وعن نظم الخلافة الفاطمية ورسومها ومواكبها الباذخة ، وعن أسرار الدعوة الفاطمية ومجالس الحكمة الشهيرة مجلد في نحو ثلاثمائة صفحة من القطع الكبير مطبوع أجود طبع ومزين بالصور التاريخية

ثمنه ٢٠ قرشاً والبريد أربعة قروش لداخل القطر وستة للخارج ويطلب من المؤلف بنوائه بشارع المهامى نمرة ٢٦ والمكتبة التجارية ومكتبة النهضة بشارع المدايح وسائر المكاتب الأخرى

رسمية ، فإنها تكاد تشمل اليوم كل المناطق الهامة في الشمال والجنوب ويتلخص الموقف الآن فيما يأتي: غزت الجنود اليابانية شاهر وزحفت على شانص شمالاً ؛ ونفذت إلى شانصهاى والنهر الأصفر جنوباً ، وهذه هي أهم ساحات القتال لأن فيها تقع معظم مناطق الدول المتنازعة مثل بريطانيا العظمى وفرنسا وأمريكا . وتجسد اليابان مصاعب حمة في التقدم في هذا الاتجاه نحو نانكين عاصمة الصين الوطنية ، لأن الدول تأبى إخلاء مناطق امتيازها وتنذر اليابان بسوء العاقبة إذا وقع الاعتداء عليها . وقد ارتكبت الجنود اليابانية أكثر من حادث أثار احتجاج الدول مثل إلقاء القنابل على سيارة السفير البريطانى وجرحه . وتشتد المقاومة الصينية في هذه المنطقة بنوع خاص لأنها مركز الحكومة الوطنية وتجمع قواتها . وقد كانت اليابان تؤمل أن تبحر نصراً سريعاً برغم الصين على قبول مطالبها ؛ ولكنها ما زالت بعد ثلاثة أشهر من القتال حيث بدأت ، ولم تدعن الصين ولم يهن عزيمتها ؛ وقد منطرت اليابان إزاء ذلك أن تعلن أنها ستمضى في الحرب إلى نهاية ؛ وألقى البرنس كونوى رئيس الحكومة اليابانية تصريحات رسمية حدد فيها أغراض اليابان من الحرب بما يفيد أن اليابان ترى إلى تحطيم الجيوش الصينية الوطنية وحزب الكوفتاج (الحزب الوطني) لأنها هي التي تثير روح الخصومة والمقاومة ضد اليابان ، وأن اليابان على استعداد لمهادنة حكومة صينية جديدة تقبل التعاون معها ؛ فإذا لم تقبل الصين هذا التعاون السلمى فإن اليابان على أهبة لحرب طويلة الأمد . والمفهوم من هذه التصريحات أن اليابان تؤمل أن تغضى هزيمة الجيوش الوطنية إلى قيام حكومة صينية جديدة مستعدة لقبول مطالب اليابان في استقلال الصين الشمالية والاعتراف بحكومة منشوكيو (منشوريا) ، ومنح اليابان امتيازات اقتصادية كبيرة ، وقبول المستشارين اليابانيين في معظم الادارات الهامة ؛ أو هي تؤمل بمباراة أخرى قيام حكومة تخضع لروحها ورأيها وسلطانها

ولكن تطور الحوادث لا يؤيد هذه الآمال ، بل لقد أفضى اعتداء اليابان بالعكس إلى نتائج هامة لم يكن يتوقعها اليابان ؛ فإن الخطر على كيان الصين القومية أثار في الصين روحاً جديداً ، وجمع كلة الزعماء والقادة المحليين ، فانضموا جميعاً إلى الحكومة

ياقوت

للأستاذ محمد كرد علي



كان مولد ياقوت عبد الله شهاب الدين في بلاد الروم سنة ٥٧٤ هـ وأخذ أسيراً وهو صبي فقيل له الرومي ، واشتراه في بغداد تاجر يعرف بمسكر الحموي فنسب إليه فقيل له ياقوت الحموي أيضاً . ونشأ نشأة إسلامية فجعله سيده في الكتاب يتعلم ما يستفيد هو منه في ضبط متاجره ، وقرأ شيئاً من النحو واللغة ، وشغله مولاه بالأسفار ثم أعتقه في سنة ٥٩٦ هـ ، فاشتغل بالنسخ بالأجرة ، وحصل بالطالعة فوائد ، وعاد مولاه فأعطاه شيئاً وسفره إلى كيش وعمان ؛ ولما عاد ياقوت من سفرته كان مولاه قد مات ، فأعطى أولاد مولاه وزوجته ما أرضاهم به ، وبقيت بيده بقية جعلها رأس ماله وسافر بها وجعل بعض تجارته كتباً ، وسهل عليه بتجارته أن يطوف الشام والعراق والجزيرة وخراسان ، واستوطن مرو ودخل خوارزم وغيرها ، أو كما قال عن نفسه إنه جاب البلاد ما بين جيحون والنيل . وأقام مدة في حلب عند صاحب الأكرم القفطي المصري وزير حلب ، وأهدى إليه كتاب معجم البلدان ، وفي حلب مات سنة ٦٢٦ هـ

لحق ياقوت في حياته هتاء وشقاء ، شهد وقائع التتر في خراسان ، ووصف ما فعلوه في بلاد الاسلام ، وانهمز منهم لا يلقى على شيء ، وفقد ثروته حتى عد من المفلوكين . وكان مرة في دمشق فتناظر بعض من يتعصب لعلي بن أبي طالب ، وجري بينهما كلام ، فثار الناس عليه ثورة كادوا يقتلونه فسلم منهم ، وخرج من دمشق منهزماً إلى حلب . وقال عن نفسه إنه كان قدم نيسابور في سنة ٦١٣ هـ وهي مدينة الشاذليين فاستطابها ، وصادف بها من الدهر غفلة خرج بها عن عاده ، واشترى بها جارية تركية مارأى أن الله تعالى خلق أحسن منها خلقاً وخلقاً ، وصادفت من نفسه محلاً كريماً ، ثم أبطرت النعمة فاحتج بضيق اليد فباعها فامتنع عليه القرار ، وجانب المأكول والمشروب حتى أشرفت نفسه على البوار ، فأشار عليه بعض النصحاء باسترجاعها فعمد لذلك ، واجتهد بكل ما أمكن ، فلم يكن إلى ذلك سبيل ، لأن الذي اشتراها كان متمولاً ، وصادفت من قلبه أضعاف ما صادفت

منه ، وكان لها إليه ميل يضاعف ميله إليها ، فخطبت مولاه في ردها على ياقوت بما أوجبت به على نفسها عقوبته ، فقال في ذلك قصيدة منها :

أرئنُ ومن أهواه يسمع أنني ويدعو غرامى وجده فيجيب
وأبكي فيكي مسعداً لي فيلتقي شبيب وأنفاس له ونحيب
ومن جملة ما ألف ياقوت من الكتب ثلاثة مطبوعة ، أولها « معجم البلدان » وثانيها « المشترك وضماً والمختلف صقماً » وثالثها « إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب » أو طبقات الأديب . رتب معجم البلدان على حروف المعجم ، وذكر فيه أسماء البلدان والجبال والأودية والقيعان ، والفري والمحال والأوكان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأوثان مضبوطة بالشكل . واعتمد في تأليفه على من كتب قبله في الجغرافيا من العرب ، وعلى اللغويين ودواوين العرب والمحدثين وتواريخ أهل الأدب ، والتقط من أفواه الرواة وتفاريق الكتب ، وما شاهده في أسفار وحققه بنفسه من أسماء البلدان ما عظمت به فائدته . وفي كل ما كتب ظهرت إجادته وما ينقله عن غيره قد يكون فيه نظر ويتبرأ هو من عهدته . فقد قال مثلاً في مدينة الصفر : ولها قصة بعيدة من الصحة لفارقها العادة ، وأنا بريء من عهدتها ، إنما أكتب ما وجدته في الكتب المشهورة التي دونها العقلاء . وقال فيما نقل عن الصين : هذا شيء من أخبار الصين الأنصبي ذكرته كما وجدته لا أضمن صحته ، فإن كان صحيحاً فقد ظفرت بالقرص وإن كان كذباً فتعرف ما تقوله الناس ، فإن هذه بلاد شاسعة ما رأينا من مضى إليها فأوغل فيها وإنما يقصد التجار أطرافها . فكان ياقوت بما ينقل من الأوهام والخرافات إلى جانب الحقائق الثابتة يريد ألا يخلي كتابه من كل أطروفة ولو كانت مخيفة ليستفيد منه الجاهل ، ويتفكك به العالم ، ويتعلم التعلم الأديب ، ويقتبس الباحث . وتوسع خاصة في الكلام على المدن التي أنشأها العرب وحرص على الإلمام بأخبار فتوح البلاد وحاصلاتها وأمورها وعمرائها وعادياتها ومصاننها وأخلاق أهلها ، وما وقع فيها من الوقائع التاريخية المهمة وما قيل فيها من الأشعار البديعة ، فأمتع قارئه بكل مفيد ، بحسب ما وصل إليه علمه وعلم جيله ، أو قرأه في كتاب ، أو استقرأه بنفسه ونقله عن الثقات . وهذا القسم جماع ما في معجمه مما أدركه في عصره ، أو اقتبس من

الأريب (إلى معرفة الأديب) وقد جمع فيه ما وقع إليه من أخبار النحويين واللغويين والنسائين والقراء المشهورين والاختباريين والتورخين والوراقين المعروفين والكتاب المشهورين وأصحاب الرسائل المدونة وأرباب الخطوط النسوبة وكل من صنف في الأدب تصنيفاً، مثبتاً وفياتهم ومواليدهم وتصانيفهم وأخبارهم وأنسابهم وأشعارهم. قال: فأما من لقيته أو لقيت من لقيه، فأورد لك من أخباره وحقائق أموره مالا أترك لك بعده تشوقاً إلى شيء من خبره. وقال إنه جمع للبصريين والكوفيين والبغداديين والخراسانيين والحجازيين واليمنيين والمصريين والشاميين والغربيين وغيرهم على اختلاف البلدان، وذلك على جروف للمعجم أيضاً. وقال في الاعتذار عن نفسه، وعن يقول له إن الاشتغال بأمر الدين أهم: «إن هذه أخبار قوم عنهم أخذ القرآن والحديث، وبصناعتهم نال الإمارة ويستقيم أمر السلطان والوزارة ويعلمهم بيم الإسلام، وباستنباطهم يعرف الحلال من الحرام» وإن كتابه هو علم الملوك والوزراء والكبراء يجعلونه ربيعاً لقلوبهم، ونزهة لنفوسهم.

وارشاد الأريب من أوسع كتب التراجم؛ وقد لا تتعادل التراجم فيه، فيكتب في الرجل العشرين والثلاثين صفحة حتى لم يبق زيادة لمستزيد؛ وقد يكتب في العظيم أيضاً أسطراً معدودة وخصوصاً في أواخر الكتاب حتى ليظن من لم يقف على ترجمة الترجمة به أنه من المنمورين. وما أدري إن كان أتى ذلك من المؤلف أم من النساخ والناشرين. وعلى كل فإرشاد الأريب أو الجزء الذي طبع منه كثر ثمين للأدب، ومنجم فيه الزكاز والذهب، فرائد يلتقطها صاحبها ولا سيما وأن ياقوت نقل من كتب جليلة ضاع بعضها على نحو ما نقل من كتب مرو وقال إن أكثر فوائده معجم البلدان منقول من خزائنها

وقال في كتابه إرشاد الأريب أيضاً: وربما قال بعضهم إنه تصنيف روي مملوك، وما عسى أن يأتي به؟ إن القوم لا ينتظرون ما قيل إنما يسألون عن قال. ولوعاش ياقوت ورأى بعد أكثر من سبعة قرون كتابه معجم الأدباء ومعجم البلدان اللذين لا يستغنى عنهما باحث ولا أديب وأتت من الكتب الأمهات التي حوت كل طريف مفيد تزيد على القرون حسناً وتبين حاجة الناس إليها، لا تعبط وعرف أن ما كان يقوله الناس فيه، قالوه في أمثاله في كل عصر ثم ذهب لفظ المتقولين والطاعنين وثبت علم العالمين والتأديبين والباحثين.

محمد كرد علي

الأصول المتقنة في خزائن مرو، قال: وكانت سهلة التناول لا يفارق منزلي منها مائتا مجلد وأكثر، وبغير رهن تكون قيمتها مائتي دينار. وما كان يفارق مرو لولا ما عرنا من ورود التتر إلى تلك البلاد، وما كان لهم من الأثر القبيح في خرابها. ويتألف من الأبيات والقصائد التي استشهد بها ياقوت في معجم البلدان ديوان جميل، يحوي كل ما يفيد من رائق الشعر، وكذلك من عجائب البلدان الخليقة وأخلاق الناس، ودرجة الرفاهية والثروة في عصره، وأفاض في كلامه على البلدان بذكر من خرج منها ونسب إليها من الأعيان، ولا سيما رجال الحديث. وكتابة خاص بلاد الإسلام والشرق وذكر بعض أسماء المدن في بلاد الأفرنج هو يتحفظ فيما ينقل عن حال البلاد الأخرى. ومما قال في الروم: وفي أخبار بلاد الروم أسماء عجزت عن بحقيقتها وضبطها فلم يندر ناظر في كتابي هذا، ومن كان عنده أهلية ومعرفة، وقتل شيئاً بها على، فقد أذنت له في إصلاحه ما جوراً»

أما كتاب «المشرك وضماً والمفترق صقماً» فقد انتزعه نسه من معجم البلدان، واقتصر فيه على ما اتفق من أسماء البقاع لفظاً وخطاً، ووافق شكلاً وتقطاً، واقرن مكاناً ومجلاً، توفيراً لوقت المطالع الذي يحب السرعة في تلف الفوائد، وبمبدأ به عما ذكره في معجمه الكبير من الاشتقاق والشواهد والنكت والفوائد والأخبار والأشعار. ودعا ياقوت على من يختصر بعده كتابه معجم البلدان، وما خلا مع هذا من بضعة مؤلفين حاولوا ذلك وفيهم صفي الدين عبدالمؤمن سمي مؤلفه «مراصد الاطلاع» قال ياقوت في الكلام على اختصار كتابه: اعلم أن المختصر لكتاب كمن أقدم على خلق سوى فقطع أطرافه فتركه أشل اليدن أبتز الرجلين، أعمى العينين، أصل الأذنين، أو كمن سلب امرأة حليها فتركها عاطلاً، أو كالذي سلب الكمي سلاحه فتركه أعزل راجلاً. وقد حكي عن الجاحظ أنه صنف كتاباً وبوبه أبواباً، فأخذ بعض أهل عصره فحذف منه أشياء وجمله أشلاء، فأحضره وقال له: يا هذا إن المصنف كالصور، وإني قد صنعت في تصنيفي صورة كانت لها عينان فمورتهما، أعمى الله عينيك، وكان لها أذنان فصلتهما، صل الله أذنيك، وكان لها يدان فقطعتهما، قطع الله يديك، حتى عدت أعضاء الصورة. فاعتذر إليه الرجل بجمله هذا المقدار، وناب إليه عن العودة إلى مثله

يق أن نطلق القول في كتاب ياقوت الثالث وهو (إرشاد

إلى لبنان صور وخواطر للأستاذ علي الطنطاوي

لقبني الأستاذ عز الدين التنوخي ، وكنت قادماً من سفر .
فقال لي : هلم !

قلت : إلى أين ؟

قال : إلى الجبل نزور أمير البيان ، ورجل الاسلام
شكيب أرسلان

قلت : ما أعدل والله بزيارته شيئاً ؛ ولكني آت من سفر
ولم أبلغ داري

قال : اطمئن فان الدار في محلها لم تطر ، وما عليك أن
تراها غداً ؟

قلت : ما على من شيء ، وسرت معه . ولم أعد أرى السفر
شيئاً ، لأنني أصبحت في هذه السنين الأواخر كذلك الذي كان
(موكلاً بفضاء الله بذرعه) فلا أكاد ألتقي عصا التسيار وأحط
الرجال من سفر ، حتى أتيتها لآخر . اطوف ما اطوف ، ثم
أوى إلى هذه الغرفة الصغيرة أجلس بين ركام الكتب أحسب
ما كسبت من هذا العناء الطويل ، فلا أجدني كسبت إلا صوراً
في الذاكرة أضمتها إلى صور ، وذكري في النفس أجمعها بذكري ،
وصفحة في دفترى أضيفها إلى صفحة أسمدبتدوينها ، وأسرّ بيقانها ،
وإن كنت لا أدون إلا الأقل مما أراه وأشعر به ، ولا أذكر إلا
التافه مما يمر بي . وإن كنت أعلم أن صور الذاكرة إلى الحياء ،
وذكريات النفس إلى ضياع ، وقصص الدقتر إلى السكين والنار
لا يزهدني ذلك بها ، ولا يصرفني عنها ، للمي أن الحياة نفسها
ستموت ، والوجود سيمدم ، ولا يبقى في الوجود إلا الموجد

وكنا خمسة في السيارة : الأستاذ التنوخي ، وأنا ، والأستاذ
الشيخ بهجة البيطار ، والأستاذ الشيخ بهجة الأثرى ، والشيخ

ياسين الرادف معتمد الملكة السمودية في دمشق سابقاً ...
خرجنا من دمشق مع الغروب ... وكان اليوم جمعة ، وكانت
ليلة قراء ، فسالت الطرق بالدمشقيين على عاداتهم في مثل هذه الليالي
فامتلات جوانب بردي ، والمرجة الخضراء ، والرطوبة ، ووادي
الشاذرون أجل أودية الدنيا وأحلاها — بخير الفتيان ، وأجل
الفتيات ، وأحلى الأطفال ؛ فلم يكن أمتع للمين ، ولا أشهى
للقلب ، من ذلك المشهد . فسرنا في هذا العالم الساحر ، مترقبين
متمهلين ، لأننا لا نغشى في طريق وإنما نغشي في بحر من الميون
والقلوب والمفاتيح جمع كل جميل بارع أخاذ ، حتى بلغنا دمر :

والحور في دمر أو حول هامتها

حور تكشف عن ساق ووطنان^(١)

فوقفنا نتمتع الأنظار بمحورها وحورها ، وشموسها وبدورها ؛
وأنت مهما عرفت دمشق لا تزال ترى فيها أبداً جمالات تجعله ولا
تعرفه ، ففي كل يوم جمال جديد ، وفي كل مكان فتنة جديدة ،
فلا تدري أين تقف ، وماذا تنظر ، وأيا تفضل ؟ أوادي الشاذرون
أم جنائن النوطة ، أم جبال بلودان ، أم المين الخضراء ، أم سهول
الزبداني ، أم الميون التي لا يحصيها عدد ؟ ...

سقى الله ما تحوى دمشق وحياتها فا أطيب اللذات فيها وأهناها
تزلنا بها واستوقفتنا محاسن يحمن إليها كل قلب ويهواها
لبسنا بها عيشاً رقيقاً رداؤه ولنلنا بها من صفوة اللور أعلاها
سلام على تلك المهاد إنها محط صبايات النفوس ومثواها
رعى الله أياماً تقضت بقربها فما كان أحلاها لدهبها وأمرها^(٢)

خيلنا الهامة وجرايا بلدة ابن واسانة^(٣) والوادي كله عن
أيماننا ، وأسندنا إلى الجبل نستقبل الصحراء إلى ميسلون بلاط
شهادتنا ، ومشهد أبطالنا ، ومبدأ تاريخنا الحديث ، ومثوى الأسد
الرابض يوسف العظمة ، الذي وقف هو وأشباه دمشق المنزل
الأقلاء في وجه ثاني دولة قوية ظافرة ، فما ضعفوا ولا استكانوا

(١) شوق رحمة الله

(٢) ابن النجار

(٣) ولان واسانة هذا قصيدة طويلة جداً ، من أعجب الشعر القصصي
الواصي يصف فيها جماعة دعائم إلى قريته ففعلوا معه الأفاعيل ، ومن قصيدة
نادر مثالها تلقاها في بنية الدهر للثعالي (ج ١ ص ٣٠٠) المطبعة المصرية

كما طار وقع « ولا علا رجل إلا هبط ، إلا رجلاً علا بمله
وبأخلاقه ومواهبه ، فذاك الذى لا يهبط أبداً بل يزداد رفعة ،
لأن علمه لن ينسى ، وأخلاقه لن تذهب ، ومواهبه لن تضع ،
أما من علا على قوائم الكراسى وأعناق الشعب ، فأحضر به أن
يسقط مهما استمر علوه وطال بقاؤه

أقول : إننا مازلنا نهبط حتى انتهينا إلى سهل البقاع الخصب
الأبيض الجميل ، الذى يفصل لبناننا (الشرق) الأجرد المهيب
الرهيب الذى ادرع المهابة ، واتشح بوشاح الخلود ، ولاحت عليه
سهات الجلال ، والجد والوقار ، ولبنانهم (الغربى) المرح الفرح
الأخضر الجميل ، الذى أترز بالسحر ، وارندى رداء التبر ،
وكلاهما أخذ فتن ، ولكن الأول جليل والثانى جميل ،
والجنات الخالدات والفرايس الباقيات ، فى دمشق على سفح
لبنان الشرقى ... قال شوقي :

نبئت لبنان جنات الخلود وما نبئت أن طريق الخلد لبنان
وأنت حين يحتويك لبنان الغربى تحس بجباله وروعته
ولكنك تشمر أنك أنت له ، وأنت جزء منه ، ولكنك تحس
حين تكون فى لبنان أنه هولاك ، وأنه جزء منك ، وشتان بين
ما تكون أنت فى قلبه ، وما يكون هو فى قلبك ، وأنت حين
تكون فى لبنان الغربى تجد يد الانسان لم تبس من جمال الطبيعة
إلا قليلاً ، وتجد ما تجد أكثره فى المدن الكبرى ، ولكنك
حين تكون فى لبنان الشرقى تجد الطبيعة الحلوة الفاتنة التى لم
تبدلها يد الانسان ، وإنما احاطها بطائر يحفظها ويظهر جمالها

وقد زعموا الجبلين جبلاً واحداً ، صدعته حوادث أرضيه
(جيولوجية) من زمن قديم ، لا أدري متى كان لأنى لم أدركه
ولا أدركه أبى ، أعنى آدم عليه السلام الذى توفى فى الأمس
القريب . وعلى ذكر آدم ... أليس من العار علينا أن نقيم
حفلات الذكرى والتكريم لفلان وفلان ممن خدموا البشرية
ونسى هذا الرجل العظيم الذى كان له أكبر الأثر فى خدمة
البشر ؛ ولم لا يفكر الناس فى إقامة حفلة تذكارية كبيرة لهذا
الرجل ، يشترك فيها عارفو فضله ، ومن (بقى) حقيقة من نسله ؟

ولا جبنوا ؛ وما زالوا يقاتلون ويدافعون عن العرين ثابتين مائتات
الروح فى أجسامهم ، حتى أعجزهم أن يميشوا أشرافاً فاتوا أشرافاً ؛
فكان موتهم حياة لهذه الأمة التى حفظت العهد وحملت الأمانة ؛
وكانت قبورهم مناراً أحمر فى طريق هذا الشعب المجاهد المستميت
لن يقف أو يتباطأ حتى يأخذ (الكل) الذى (أعطى) الآن
(بعضاً) منه ، ولن ينام حتى يرى هذه الصحراء قد آضت جنات
لغافاً ، تحمل الزهر الذى لا يسقى إلا بالساء الأحمر اللهب تحمل
زهارة الحرية

سبقت هذا اللحد لتمر عليه الأجيال الآتية ، الأجيال الحرة
مريزة ، فتذكر جهاد أسلافنا ، وتعرف الثمن الذى دفعوه ، وتعلم
ن القوة إن غلبت الحق حيناً ، فان الحق يصنع القوة التى
لمب بها دائماً

أذكر ما حيت جدار قبر بظاهر جلق ركب الرمالا
يم ما أقامت ميلون يذكر مصرع الأسد الشبالا
يب عظمة العظمت فيه وأول سيد لى النبلا
مشى ومشت فيالتى من فرنسا نجر مطارف النظفر اختيالا
أقام نهاره يلقى ويلقى فلما زال قرص الشمس زالا
فكفن بالصوارم والموالى ووسد حيث حال وحيث صالا
إذا صرت به الأجيال ترى سميت لها أزيراً وإبهالا^(١)

ثم أخذت السيارة تصمد بنا فى مسالك مطوية مستديرة ترجح
الأبصار من استدارتها وعلوها ، حتى إذا ظننا أننا بلغنا قفة الجبل
تكشفت لنا قنن فاذا نحن لا نزال فى الحضيض ، وما فتئنا نملو
وتسلق وندور حتى حاذينا (بلودان) درة المصايف الشامية ، وبدا
لنا فندقها الفخم الضخم أكبر فندق فى سورية كلها (إى ولبنان)
الذى بنته الحكومة ليملاً الخزانة مالا والجيوب ذهباً فلاً النفوس
فساداً ، والأخلاق انحطاطاً ؛ لما أنشأوا فيه من بلايا وطامات
زعموها حضارة ورقيا ، ورأيناها الموت الأحمر والبلاء الأزرق
فكنا حين نبيع الأخلاق بالمال كمن يطرد ابنه من بيته ويربى
فيه ذئبا ...

ثم عدنا نهبط ، وهذه سنة الحياة : « ما طار طير وارتفع إلا

قلت : إن الجبلين كانا جبلاً واحداً ، والأمتين فيها أمة

تمر على الانسان ساعات بل لحظات ينسى فيها هذا العالم المادى ،
وهذه الحياة القصيرة الناقصة ، ويحس كأنه يعيش بنفسه حياة
أكمل وأجمل ، يخالط نفسه مشاعر لا عهد له بها ، ولا يقدر على
وصفها ، وتنمر قلبه لئلا يعرف أى شيء هو ، فيشعر أنه انتقل
إلى عالم سحري جنى عجيب ، كهذه اللحظات التى تمر علينا فى غمرة
التأمل النفسى ، أو فى هزة الموسيقى ، أو فى نشوة الحب ، أو حين
الاستفراق فى العباداة والناجاة ...

هذه هي اللحظات التى تمر عليك حين تشرف على وادى
(صوفر - حمانا) أو تجلس فى الشاغور ، أو تصمد إلى عين
الصحة فى فالوغا ...

لست أريد الدعاية للبنان ، وما لبنان فى حاجة إلى دعاية ،
وما فى لبنان سرير فى فندق ، أو غرفة فى دار إلا وقد امتلأت
حتى أننا لم نجد فى صوفر وقد وصلنا ليلًا مكانًا نبيت فيه ، وكما
دخلنا فندقًا خرجنا منه بنجى صاحبنا حين الاسكاف ... حتى
قادنا اللطاف إلى فندق لطيف معزل ، قاعد فى منتصف الطريق
بين صوفر وبمجدون ، ولم يكن بده فندق نأوى إليه . فتعلقنا
بصاحبه ، وتوسلنا إليه وأطعمناه حتى رضى أن يمد لنا مكانًا فى
الردهة (الصالون) فقبلنا ، ووضعت لنا سررُ سفار كسرر
الجند وطلبة المدارس الداخلية جاء بها من بيته ، حمدنا الله عليها

ولما دخلنا الأوتيل : عماتان عاليتان على رأسى البهجتين :
بهجة المراق وبهجة الشام ، وعقال نجدى نغم على هامة أمير من
أمرء نجد ، ونحن الاثنان (المطربشان) الأستاذ عز الدين وأنا ،
تملقت بنا الأنظار ودارت حولنا الأبصار ، وحفّ بنا شباب
يسلمون علينا . فقلنا : وعليكم السلام يا إخواننا ... فا راعنا إلا
أنهم نضحكوا وضحك الحاضرون ...

فقلت لأحدهم : من فضلك قل لى ، لماذا تضحك ؟
هل تجد فى هيئتي ما يضحك ياسيدى ؟
فازداد الخبيث ضحكًا ، فهمت به . فوثب الحاضرون وقالوا :
يا للمعجب ! أنتضرب فتاة ؟
قلت : وافضيحتاه ! فتيات بسر اوبل (بنطالونات) وحلل
(بذلات) ؟ وأين الشر وأين اللجم ؟

واحدة ، ولكنك واجد فى هذه المسافة التى لا تتجاوز الساعتين
جمهورتين مختلفتين ، وعَلمين متباينين ، وحدوداً كحدود ألمانيا
وفرنسا ...

ألقاب مملكة ...

وسبحان خالق المهر ، وخالق الأسد ، وخالق كل شيء !

وأمنحنا رواحلتنا (أعتى وقفنا سيارتنا ، ولم يكن معنا
رواحل ولا رحال) فى شتورة ، عروس السهل ، نستريح فيها
قليلاً قبل أن تتسلى بالسيارة الجبل الذى لا تبلغ الطير ذراه ،
وتصبح فى نصف طريق السماء . وإذا أنت شئت أن تتصور
مبلغ مانلو ، فتصور شارعاً طوله قرابة كيلين اثنين ، قد وقف
على رأسه ، وكنت أنت فوقه تطل على الدنيا من عل ...
علونا فى جبال لشجراء ضاحكة ، نجتاز القرى المتناثرة على
الصفوح والدرى ورى الينابيع تندفق من أعالي الصخور ،
وتسيل فى بطون الأودية خالة سكرى . وما زلنا فى علو ولف
ودوران ، حتى بلغنا ظهر البيدر حيث صرنا فوق السحاب ،
لا على الجواز أو البالغة كما يقول الشعراء ، بل على الحقيقة التى
يشاهدها الناس كلهم فقد كان السحاب يمس الدرى التى تحتنا
ويلمح وجوهنا ويحجب عنا السهل والصفوح ، وكنا نملو عليه
أحياناً فلا يلفنا ولا يمسنا ، وزاه يمر من تحتنا ، أشبه شيء بالبار
الأبيض تحمله الريح . حتى درنا تلك الدورة الكبيرة ، وأشرقتنا
على وادى (صوفر - حمانا) العظيم أوسع أودية لبنان وأجلها
وقد ازدهى بالصنوبر وانتثرت على سفوحه عشرات القرى ولاحت
مبانيها العظيمة وقصورها الشم

والروابي توسدت راحة المحسب ونامت على وشاح مرقق
والدرى البيض فى الملاء نسور حومت تكشف الخفى الملقى
نشرت فى الفضاء أجنحها الزهر فأسنى بها الوجود وأشرق
والقرى غفلت بأخية القيسب وضاعت بين النمام التمتع
والينابيع ضاحكات من الزهر ترى فيها السن وتألئ
وتزأى البحر البعيد كالمهم راجف الخيال ملفق
سرقته السماء فى الأفق النا لى فن أبصر الخضبات تسرق^(١)

- الأدباء المحترفون

للأستاذ مصطفى جواد

الأدب في كل أمة غذاء النفوس الصافية من كدر المادية
السُّبْرَاء من أمراض الطمع والجشع ، السائلة من إفسار الكايد
والخدائع ؛ والأدباء في كل شعب هم الطبقة الرفيعة في المراتب
البشرية ، المحلقة في سماء الصفاء بأجنحة لطف أرق من الهواء .
والمادية لا تؤمن بدين الأدب ولا عطف لها على البشرية ولا رحمة ،
فالأدب نوراني والمادة بهيمية ترجع بالإنسان إلى عبور كان
ينازع فيها الوحوش فرائسها ، وبعد الشبع والري من الدنيا
نقائسها ؛ وكلما رق العقل في الصناعات انخفضت الماطفة واستبدت
المادية واستحكمت الوحشية ، فلول الأدياء بين الناس كالنجوم
الزهر^(١) في السماء الدنيا لبدليل المادية أشد ظلاماً وأهول
منظراً . ولعله سيأتي زمان يتخفى فيه الأدياء كما كان الأنبياء
يتسترون من الناس في أول الاستنباء ، ورأس الحنطة وأيام
الدعوة ، خشية الاستهزاء والازراء والتعذيب والتقتيل ، وإذن
لا يمصم الأدياء يوم ذلك من ضربة المادية الأشبه بجمهورية أفلاطون
وإلا مثل المدينة الفاضلة التي أفكر فيها فيلسوف فاراب . أما
ما فعله الشيوعيون لأدياء الشيوع في روسيا من قسرم في قرية
زهية وامدادهم بضروري المادة ليستهتروا بالاستشاعة ويدعوا إلى
التشارك فهو أخلق بالأدب البتذل والشعور المتحلل والمواطف
المطوفة والنفوس المأسورة والانفعالات المكبوتة ، فإغنى
الشيوعيين عما فعلوا وما كان أحرى الأدياء بالإباء على هذا
الازدراء ؛ وكلا علت المادة امتاز الأدياء عن أهل المادة وعبدة
الحيوانية ، فيعيشون منفردين معزولين كالمتصوفة في الربط الهادئة
إلا من تسبيح وتحميد ، وكالهربان في الأديار الواجة إلا من تكفير
وارتسام ، يزرعون فيحصدون ويفرسون فيجتنون ، لا تجارة
تلهمهم ولا تكالب يقسمهم ولا انخداع يؤذيهم ، فهم حينذاك صفوة

(١) الزهر جمع أزهر وزهراء ولا يجوز أن يقال « النجوم الزهراء »
لأنه لم ينطق به فصحاء الأمة ولا أئمنته قواعد لغتها ، وإن جاء في الشعر
قافية فهو من كبار الضرائر

قالوا : أنت في لبنان

قلت : عفواً ، لقد حسبت أني في لبنان^(١)

وفررنا ونحن مستحيون . نحاول ألا نعيدها كرة أخرى
ولما خرجت في الليل لمحت في طريق واحدة من هؤلاء النسوة
تخفيتي ، فقلت لها : مساء الخير يا مدموازيل

فقلت : مدموازيل إيه يا وقع ؟

قلت في نفسي إنها متزوجة وقد ساءها أن دعوتها بالمدموازيل
(الآنسة) وأسرت فتداركت الخطأ وقلت : بردون مدام

قلت : مدام في عينك قليل الأدب ، بأى حق تمزح مني
أنا (فلان) المحامي

قلت : بردون ، بردون

ووليت هارباً ، فذهبت إلى صاحب الأوتيل فرجوته أن يعمل
بنا طريقة للتفريق بين الرجل والمرأة ، فدهش مني ووجه لحظة ؛
ثم قدر أني أمرح فأنطلق ضاحكاً

قلت : إني لا أمرح ، ولكني أقول الجدة وقصصت
عليه القصة ...

قال : وماذا نعمل ؟

قلت : لوحات صغيرة مثلاً من النحاس ، كالتي توضع
على السيارات لبيان رقمها ، أو على الدراجات ... يكتب عليها
رجل . امرأة . تعلق في الصدر تحت الثدي الأيسر أو تتخذ
حلية من الذهب أو الفضة عليها صورة ديك مثلاً أو دجاجة ،
أو ... أو شاة أو خروف ، أو شيء آخر من علامات التذكير
والتأنيث ...

فراقه اقتراحي وقبله على أنه نكتة ، ولكنه لم يفكر بالعمل
به لأنه لم يجد حاجة إلى هذا التفريق ما دام المذهب الجديد يقول
بمساواة الجنسين ؟

ولم نطل الإقامة في صوفر ، لأننا لم نجد الأمير شكيب فعدنا

أدراجنا إلى دمشق

على الطنطاوي

(دمشق)

(١) عنيت لبنان الشرقي العربي وعنوا لبنان الغربي (المتغرب)

الصفوة، وأبتمام الانسانية وملائكة البشر، يضع أحدهم بين الناس كما يضع الملك إذا هبط بين البشر، بل هو أضيع من الأبيات في مادة اللثام، فويل لأهل الأدب من شر قد اقترب. الأدب عدو المادة، والمادة غائلة الأدب. وأعنى بالأدب في كل ما أسلفت من القول «مولدات العواطف وتتأجج العقول من وصف حزين وأسباب حزنه، ونعت فرح وأسباب فرحه، من خرقاً يبدئ الكون، أو مطلياً بهرجة وغلوته، مهداً له بوصف الجلال وذكر القبح وتبيان حسن الخلق أو سوءه والتصریح بالمدح والقدح، فيكون ذلك للأدب كالحلي للمروس أو كالحطب للنار» وحد هذا الأدب «حركة العواطف واشتغال العقل والتأسيس على الحقيقة والخيال» فهو — كما قدمنا — غذاء النفوس البشرية الراقية وحبب الانسانية وريب الحقيقة والامكان؛ فالمحترف بحرفة المادة لا يقدر على دخول جنة الأدب؛ والأدب لا يستطيع الخروج إلى جهنم المادة وما أعفنه عن ذلك. فكيف يبلغ امرؤ أن يتردد بين الجنة والنار ويجمع بين السلم والحرب؟! وإذا ما رأينا واحداً قد ألم بالبرزخ تنفخ إليه نemat جنة الأدب من أمام، وتلفحه شرارات المادة من وراء، فهو لا أدب ولا مادي بل صاحب اختيار في الاختيار، ثم يصير إما إلى الجنة وإما إلى النار، فذلك ومن ذلك قل الأدباء المحترفون لجمع المادة واحتجان البيضاء والصفراء؛ وإنما سميتهم أدباء على سبيل أدب القدماء؛ وهم في رأينا «برزخيون» وصلهم الأدب كوصوله لمن قال «وجادت بوصل حين لا ينفع الوصل» وما توارهم في عهد الاختيار والفتن والحنة. ومن الأدباء من يضطره الزمان إلى الاحتراف فيستدفع الحرفة ضنك الزمان، ولو ترك ونفسه وأنجي من ذل الحاجة ماجأ إلى الحرفة ولا قاربها. ومن الأدباء المحترفين أبو القاسم نصر بن أحمد بن نصر بن مأمون الخبزأرزي، نسبة إلى حرفته «خبز الأرز» فقد كان هذا أمياً لا يهجي ولا يكتب، وكان يخبز الأرز بمرصد البصرة في دكان له، وينشد الناس أشعاراً مقصورة على الغزل، والناس يزدحمون عليه، ويطربون باستماع شعره، ويتمتعون من حاله وأمره؛ وكان أبو الحسين محمد بن محمد المعروف بابن لنكك البصرى الشاعر المشهور — مع علو قدره عند البصريين — يتأب دكانه لسمع شعره، وقد اعتنى به وجمع له ديواناً؛ وذكره

الشمالي في البيعة، والخطيب في تاريخ بندا، وياقوت الحموي في معجم الأدباء، وابن خلكان في الوفيات. قال ياقوت: «وكان ممن يفضلون الذكر على الإناث، فكان أحداث البصرة يلتفون حوله، ويتنافسون بميله إليهم، ويحفظون شعره لسهولته ورقته^(١)» وقد نزل نصر هذا بندا وأقام بها دهرأ طويلاً وقرى عليه ديوانه فيها. حدث الخطيب بسنده إلى أبي محمد عبد الله بن محمد الأكنافى البصرى، قال: خرجت مع عمي أبي عبد الله الأكنافى الشاعر وأبي الحسين ابن لنكك وأبي عبد الله المضجع وأبي الحسن السماك^(٢) في بظالة عيد، وأنا يومئذ صبى أحبهم، فشا حتى انتهوا إلى نصر بن أحمد الخبزأرزي وهو جالس يخبز على طابقه، جلست الجماعة عنده يهتونه بالعبا ويتمنون خبره، وهو يوقد السنف تحت الطابق، فزاد في الوقود فدخلهم، فهضت الجماعة عند ترايد الدخان؛ فقال نصر ابن أحمد لأبي الحسين بن لنكك: متى أراك يا أبا الحسين؟ فقال أبو الحسين: إذا اتسخت ثيابي؛ وكانت ثيابه يومئذ جدأ؛ أتقى ما يكون من البياض للتجمل بها في العيد؛ فشيتنا في سمرى حتى انتهينا إلى دار أبي أحمد بن المثنى، جلس أبو الحسين ابن لنكك وقال: يا أصحابنا، إن نصرأ لا يخلى هذا المجلس الذى مضى لنا معه من شىء بقوله فيه، ونحب أن نبدأ قبل أن يبدأنا واستدعى دواة وكتب:

لنصر في فؤادى فرط حب أنيف به على كل الصحاب
أتيناه فبخرنا بخوراً من السنف المدخن للثياب
قمت مبادراً وظننت نصرأ أراد بذلك طردى أو ذهابى
فقال: متى أراك أبا حسين فقلت له: إذا اتسخت ثيابى
وأنفذ الأبيات إلى نصر فأملى جوابها فقرأناه فإذا هو قد أجاب:

منحت أبا الحسين صميم ودى فداعبنى بالفاظ عذاب
أتى وثيابه ككتير شيب فعدن له كريمان الشباب
ظننت جلوسه عندي لمرس فجت له بتمسك الثياب
فقلت متى أراك أبا حسين فجاوبنى: إذا اتسخت ثيابى

(١) معجم الأدباء (٧: ٢٠٨)

(٢) وردت في تاريخ الخطيب «السيالك» والصواب ما في الوفيات وهو ما ذكرناه

وهبت له عيني الكرى وتعرضت نظراً إليه
شكراً لإحسان الزمان كما يساعدني عليه

* * *

كم أقامى لديك قالاً وقيلاً وعدات ترى ومطلاً طويلاً؟
جمعة تنفضي وشهر يُوتَى وأمانيك بكرةً وأميلاً
إن يفتني منك الجليل من الفعل نطاطيتُ عنك صبراً جميلاً
والهوى يستزيد حالاً فخالاً وكذا يتسلى قليلاً قليلاً
ويك لا تأمنُ صروف الليالي إنها تترك العزير ذليلاً
فكأنني بحسن وجهك قد صاحت به اللحية: الرحيل الرحيل
فتبتك حين بُدلت بالنور ظلاماً وساء ذلك بديلاً
فكأن لم تكن قضياً رطياً وكان لم تكن كثيراً مبيلاً
عندها يشمّت الذي لم تصله ويكون الذي وصلتَ خطيلاً

* * *

رأيتُ الهلال ووجه الجيب فكأننا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتني فيهما هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورد في الوجنتين وما راعني من سواد الشعر
لكنتُ أظن الهلال الجيبَ وكنتُ أظن الجيبَ القمر
وذاك يغيبُ وذا حاضر وما من يغيبُ كما من حضر
ومما ذكره له ياقوت الحموي:

شاقني الأهل لم تشقني الديار والهوى سائر إلى حيث صاروا
جيرة فرقهم غربة البيسن وبين القلوب ذاك الجوار
كم أناس رعو لنا حين غابوا

إلى آخر الأبيات المتقدم ذكرها منقولة عن الوفيات

* * *

فلا تمنّ بتلفيق تكلفهُ لصورة حسنها الأصلي يكفيها
إن الدنانير لا تجلي وإن عقت ولا تراد على الحسن الذي فيها
وأورد له الخطيب:

بأبي أنت من ملول ألوف رُضنتي بالأمان والتخوف
حار عقلي في حكك الجائر المدل وفي خلقك الجليل اللطيف
أنت بالحصص والمؤزر تحكي قوة الشوق بالفؤاد الضعيف
ليس عن خبرة وصفتك لكن حركات دلّت على الموصوف
لك وجه كأنه البدر في التمس عليه تطرق من كسوف

وأغرب ماني حياة هذا الرجل المشهور بمزاورة اللذات
وملابسة الشهوات وقوفه موقف الحكيم التنصح والمقيف
المتنفس قتمع منه قوله:

فإن كان التقزز فيه خير فليكني الوصي أبا تراب^(١)
وحكي الخالدان الشهيران في كتاب الهدايا والتحف أن
الجزر أُرزي نصر بن احمد هذا أهدي إلى ابن زداد وإلى البصرة
فصاً وكتب معه:

أهديتُ مالو أن أضاعفه مطرح عندك ما بانا
كمثل بلقيس التي لم يبن إهداؤها عند سليمانا
هذا امتحان لك إن رضه بان لنا أنك رضانا^(٢)

قال ابن خلكان « وأخبار نصر ونواده كثيرة وتوفي في
سنة سبع عشرة وثلثمائة . وتاريخ وفاته فيه نظر، لأنه^(٣) ذكر في
أرضه أن احمد بن منصور النوشري المذكور سمع منه سنة خمس
عشرين وثلثمائة^(٤) » قال الخطيب: « روى عنه مقطعات من
بعره الماعاني بن زكريا الجريري وأحمد بن منصور النوشري
أبو الحسن بن الجندي وأحمد بن محمد العباس الأخباري وغيرهم؛
ذكر النوشري أنه سمع منه ببغداد ياب خراسان في سنة خمس
عشرين وثلثمائة^(٥) » والصحيح أن وفاته كانت في سنة ٣٢٧
كما ورد في معجم الأدباء^(٦)، ومما أورده له ابن خلكان:

خليلي هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشى إلى عبد؟
أنى زائر آمن غير وعد وقال لي: أجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فازال نجم الوصل بيني وبينه يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقبيل زرجس ناظر وطورا على تعريض تفاعحة الخلد

* * *

ألم يكفني مالني من هواكم إلى أن طفقت بين لاه وضاحك
شما تكم بي فوق ما قد أصابني وما بي دخول النار في طر مالك

* * *

كم أناس وفوا لنا حين غابوا وأناس جفوا وهم حضار
عرضوا ثم أعرضوا واستألوا ثم مالوا وجاوروا ثم جاروا
لأنهم على التجنى فلو لم يتجنوا لم يحسن الاعتذار

* * *

بات الجيب منادي والسكر بصبغ وجنتيه
ثم اغتدى وقد ابتدا صنع الحمار بمقلتيه

(١) تاريخ الخطيب « ١٣ : ٢٩٨ - ٩ » ووفيات الأعيان « ٢ : ٢٨٢ »
(٢) الوفيات « ٢ : ٢٨٤ » (٣) أي الخطيب كما سترى
(٤) الوفيات « ٢ : ٢٨٥ » (٥) تاريخ الخطيب « ١٣ : ٢٩٧ »
(٦) معجم الأدباء « ٧ : ٢٠٨ »

الفلسفة الشرقية

بحوث تحليلية

بقلم الدكتور محمد غلاب

أستاذ الفلسفة بكلية أصول الدين

— ٢٤ —

الفلسفة الصينية

العصر المهنجي

لم يكده حكم أسرة « تشو » ينتهى حوالى القرن السابع قبل المسيح حتى هوت بلاد الصين فى أعين أنواع الفوضى والاضطراب ، وظلت تروح تحت نير هذا التدهور السياسى والاقتصادى والأخلاقى نحو خمسة قرون . فلما ضيقت هذه الأزمات الاجتماعية الحناق وأحكمت الضنط ، كان من الطبيعى أن تنفجر العقول الجبارة بعد أن استاءت الضمائر النبيلة ؛ وكان من الطبيعى كذلك أن يحدث هذا الاستياء وذلك الانفجار آثاراً بارزة فى الحياة الاجتماعية عامة ، وفى الحياة العقلية بنوع خاص ، وهذا هو الذى كان ، إذ لم يكده ينتهى الثلث الأول من القرن السادس حتى كان كوكب تلك الشخصية البارزة المتأززة وهى شخصية « لاهو — تسيه » قد سطع فى سماء الصين سطوعاً أعقبه انفجار ينبوع عبقرية أخرى فأتت الأولى عمقاً وسمواً ، وتكاثفت وإياها على زرع الفلسفة الصينية إلى صفوف منتجات الأمم الراقية ، تلك هى عبقرية « كونفوشيوس »

عرف « كونفوشيوس » « لاهو — تسيه » ولكنه لم يكن معه على وفاق فى الآراء الفلسفية ، بل كان وإياه على طرفى تقيض فى أهم النظريات ، إذ لم يكده « كونفوشيوس » ينضح ويعلن مذهبه حتى لاحظ الناس أن بين المذهبين خلافاً جوهرياً فى القواعد الأساسية ؛ ولم يكن هذا الخلاف حول عقيدة دينية أو رأى نظرى ، وإنما كان فى الفلسفة العملية ، لأنه نشأ من سؤال هام دعت إليه الحالة الاجتماعية فى بلاد الصين ، وهو : « ماهى الوسيلة الناجمة لإتقاذاً البلاد من هذا التدهور ؟ »

بينما كان « لاهو — تسيه » يرى أن التمسك والزهادة واحتقار الحياة العملية هى الوسيلة لهذا الاتقاذاً الفتند ، كان

كم شهوة مستقرّة فرحاً قد انجلى عن حلول آفاتٍ
وكم جهول تراه مشتركياً سرور وقتٍ بنم أوقات
كم شهوات سلين صاحبها ثوب الديانات والمروءات
وقد جمع جملة من الحكم وأشتاتاً من الأخلاق وركاماً من
التجارب فى قوله :

لسان الفتى خفق الفتى حين يجهل
إذا مالسان المرء أكره هذره
وكم فأنح أبواب شر لنفسه
كذامن رى يوماً شرارات لفظه
ومن لم يقيند لفظه متجمللاً
ومن لم يكن فى فيه ماء صيانة
فلم تحسب الفضل فى الحلم وحده
ومن ينتصر ممن بنى فهو ماينى
وقد أوجب الله القصاص بعدله
فان كان قول قد أصاب مقاتلاً
وقد قيل فى حفظ اللسان وحزنه
ومن لم تقر به سلامة غيبه
ومن يتخذ سوء التخلف عادةً
ومن كثرت منه الوقعة طالباً
وعدل مكافاة السوء بفعله
ولافضل فى الحسنى إلى من يحسها
ومن جعل التمرىض محصول مزحه
ومن أمن الآفات عجباً برأيه
أعلمكم ماغلتنى تجاربي
إذا قلت قولاً كنت رهن جوابه
إذا شئت أن تحيا سعيداً مسلماً
فدبر وميز ما تقول وتفعل (١)

وذكره الخطيب أياًتاً ثلاثة تدل على ارتباطه فى الهوى وهى :
ماجفانى من كان لى أرفساً أرنست شوقاً ببعض أسبابه
كثل يعقوب بعد يوسف إذ حنسن إلى شمّ بعض أثوابه
دخلت باب الهوى ولى بصراً وفى خروجى عميت عن بابيه
« بنداد »
مصطفى مبراد

(١) ذكره هذا البيت وآخر بيت فى القصيدة باقوت الحموى فى معجم الأدباء

(٢) تاريخ الخطيب « ١٣ : ٢٩٧ — ٨ »

وهو أحد أخصاء تلاميذه الأوفياء وألح عليه قائلاً : « من حيث إنك أردت أن تدفن نفسك في هذه العزلة الموحشة ، فأنا أتوسل إليك أن تؤلف كتاباً لتؤدبني به » فلم يسع هذا الحكيم بإزاء ذلك الرجاء الملح إلا أن يجيب تلميذه إلى سؤاله ، فألف كتاب « تاو - تي - كينج » وعلى أثر فراغه من كتابته غادر ذلك الوادي الذي عرفه الناس فيه وانسحب إلى حيث لم يره بعد ذلك أحد

وقد حدثنا « سي - ما - تسيان » أيضاً أنه أعقب بعده ابناً يسمى « تسونج » صار بعد أبيه من عظمة الدولة ؛ وكان قائداً كبيراً من قواد جيوشها ، وأن مشاهير رجال الملكة الذين لعبوا أهم الأدوار السياسية والاجتماعية فيها كانوا من ذريته

أما الأساطير الشعبية فقد أحاطت هذا الحكيم ببناء كثيفة من الروايات والحوادث التي ثبتت الاستحالة الزمنية في بعضها ، وتحقق الاستبعاد في بعضها الآخر ، كما أنه قد غلبت الحقيقة على البعض الثالث . فمن هذه الأساطير ما يحدثنا عن تلك المقابلة الهامة التي حدثت في سنة ٥٢٥ قبل المسيح بين « لاهو - تسيه » و« كوفيشيوس » ومادار فيها من محاورات بين الحكيم الشيخ الهادئ الواثق مما يقول ، وبين المبقر الشاب المتحمس المقعم بالآمال العذبة في المستقبل المنير

تحدثنا هذه الأسطورة أن الشيخ أعلن في حديثه أن إصلاح الحياة الاجتماعية بواسطة النشاط العملي مستحيل ، وأنه لا يتيسر إلا بواسطة التسك والزهادة والاعتزال ، وأنه لم يقل بهذا الرأي إلا بعد تجارب طويلة استغرقت سبعين سنة ، وأن « كوفيشيوس » حينما سمع من الحكيم الشيخ هذا الرأي ، لم يتردد في الحكم عليه بأنه خاطئ باطل ، وبأن نتيجته هي الخمول واليأس ؛ ثم سأله قائلاً : « إذا كان واجب كل فرد من أفراد الدولة أن ينسحب في كهف من الكهوف ، فمن ذا الذي يسمو المدن ، ويفلح الأرض وينشئ الصناعات ، ويدمى النوع البشرى على سطح الأرض ؟ وإذا كان هذا الاعتزال من واجب الحكماء فحسب ، فمن ذا الذي سيربى الانسان ويؤدبه ويصون الفضيلة والأخلاق ؟ »

وتحدثنا هذه الأسطورة أيضاً أن المقابلة بين هذين الحكيمين كانت من أجل هذا الخلاف فارة ، وأن سوء التفاهم قد ساد بينهما على أثر هذه المحاورة . ويعلق أحد « المستصينيين » على هذا البناء بقوله : « مادام قد ثبت تاريخياً أن « لاهو - تسيه » كان

« كوفيشيوس » يعلن أن الوسيلة الوحيدة لهذه النجاة هي العناية الفائقة بتنظيم الحياة العملية على أساس الخير الأخلاقي الذي ينتهي حتماً إلى الصلاح الاجتماعي ، وصرح أن الاهتمام بال عمران المنظم والقضاء على الرذائل التي تنخر في بناء صرحه هما وحدهما الكفيلان بإعادة الرفهية والهدوء إلى الدولة ؛ وقد كان من المفهوم بعد تأسيس هذا الخلاف أن يتسع البون بين هذين المذهبين في أكثر نظريتهما الهامة ، وهذا هو الذي حدث بالفعل غير أنه ينبغي لنا أن نشير إلى أن محاولة حل هذه المشكلة ليست من مستحدثات هذين الفيلسوفين ، وإنما هي محاولة قديمة ترجع إلى عصر ما قبل التاريخ ؛ غاية ما هنالك أن ذلك الخلاف كان في الماضي نظرياً فحسب ، لأن البلاد لم تكن قد هوت بعد في هذا التدهور ، أما في هذا العصر فقد أضحت هذه المشكلة عملية يجب الاعتناء بها

الآن وبعد أن ألمنا إلى هذين الفيلسوفين هذه الاملاعة العاجلة يد أن تناولهما في شيء من التفصيل بادئين بأولهما

لاهو - تسيه

هياته

ليست هذه الكلمة اسمه ولا اسم أسرته ، وإنما معناها : « الأستاذ القديم » أو « العالم القديم » أو « الحكيم القديم » ؛ أما اسمه الحقيقي ، فهو « بي - ياج » ، واسم أسرته « لي » وقد دعاه الناس بعد موته : « تان » ، وهو لقب مشرف كان الصينيون يطلقونه على الحكماء بعد موتهم

ولد هذا الحكيم في سنة ٦٠٤ قبل المسيح في قرية « كيو - جين » بمملكة « تشو » التي هي الآن في مقاطعة « أو نان » وكل ما يعرفه التاريخ الصحيح عن حياته هو ما يحدثنا به « سي - ما - تسيان » أقدم مؤرخ صيني من أنه أمضى الأكثرية القالبة من حياته في « تشو » . وفي أواخر حياته عين مديراً لدار المحفوظات الملكية ، ولكن أحداً لا يعرف ما هي الوظائف التي شغلها هذا الحكيم قبل هذه الإدارة ولا كم سنة قضاه فيها ، وإنما روى لنا هذا المؤرخ أنه حينما تقدمت به السن اعتزل الخدمة في الحكومة ، وانسحب إلى وادي « هان - كو » حيث اعتزل الناس جميعاً وظل فيه عاكفاً على تأملاته الفلسفية أسماً لمبادئه الأخلاقية . وفي أثناء هذه العزلة جاءه « بين - سي »

الاختلافات بين العلماء هو صعوبة معنى كلمة « ناو » التي اتخذها هذا الحكيم عنواناً لكتابه ؛ ولكن ليس معنى هذا أن تلك الكلمة كانت في الأصل غامضة أو عويصة ؛ كلا ، فقدمرت بنا في عصر ما قبل التاريخ وعرفنا أن معناها إما « الصراط السوي » وإما « واجب الانسان » أو « الفضيلة العليا » أو « الغاية المثلى » ولكن الصعوبة حدثت من المعنى الجديد الذي أسبغته حكيمنا على هذه الكلمة حين اختارها عنواناً لكتابه الفلسفي ولم يصرح في تحديده بكلمة قاطعة ؛ بل ترك الباحثين يستنتجون هذا المعنى الحديث من الشاكل التي درست في هذا الكتاب ؛ فلما عالج العلماء الأوربيون هذا البحث ذهب كل منهم مذهباً يتناقض مذهب الآخر ؛ بل إن بعضهم أتى سلاحه بإزاء هذا العنوان وانسحب من الميدان ؛ ومن هذا القسم الأخير المسمى « دينيس سورا » الذي أعلن أن هذه الكلمة غير مفهومة . وإذا فالذهب النظري لهذا الحكيم غير مفهوم . أما الأستاذ « زانكير » فقد أفاض في شرح هذه الكلمة وتعقب مراميها المختلفة تعقّباً يروى غلة الباحث الشغوف . وخلاصة ما قاله في هذا الشأن أن هذه الكلمة تحمل من المعاني ما لا يمكن أن يؤدي بلفظة أوربية . ولهذا يكون خاطئاً كل من حاول ترجمتها بكلمة واحدة من لغاتنا الحديثة ، بل الوجب ترجمتها بجملة طويلة أو بمدة كلمات ، فمن معانيها مثلاً : الروح الأزل الأبدى الشتمل على جميع القوى الحيوية ، والكائن التقى ، والجوهر الأساسي لكل موجود ، والحياة الحقة لكل كائن ، والمدبر العام للكون كله ، وفوق ذلك كله فهذه الكلمة قد احتفظت بمعانيها القديمة التي كانت لها في عصر ما قبل التاريخ ، وهي : الصراط السوي ، والفضيلة ، والواجب ، والغاية ، والتطور ، ولكن ينبغي أن نعلم أن هذا التطور ليس إلا أترأ ظاهراً لهذه القوة ، أما هي نفسها فتأبته لا تتغير

وأكثر من هذا أن « لاهو - نسيه » بصرح بأن « ناو » هو الـ « في ذاته » ، بل هو الكائن الغير القابل لمُدْرَكِيَّة العقل البشري ، لأن أي كائن متى حصره التفكير الانساني ووضع له اسماً مُحدِّداً ، فقد قَدَّ تقاهه ولا نهائيته

ولا شك أن من باقى نظرة عاجلة على المدرسة الأفلاطونية الحديثة ويستعرض ما قاله « أفلوطين » عن الاله يحد الشبه عظيمًا بينه وبين هذا الرأي

مدير أمدار المحفوظات في مدينة « لو » في نفس التاريخ الذي زار فيه « كونفوشيوس » هذه العاصمة ، بل إنه قد ثبت أنه زار دار المحفوظات نفسها وطلب الاطلاع على بعض ما فيها من وثائق قديمة كانت دراسته في حاجة إليها ، أفليست هذه الظروف كلها تدعونا إلى تصديق هذه الأسطورة لا سيما إذا كان ما حدثنا عنه من خلاف صحيحاً صحة علمية ؟

ومن هذه الأساطير أيضاً ما يروى لنا أن « لاهو - نسيه » بعد أن اعتزل الخدمة ارتحل إلى بلاد الهند وأخذ ينشر تعاليمه هناك ، وقد تلاقى مع « بودا » فتلمذ هذا الأخير عليه ، وتاقى عنه تلك المعارف للصينية القيمة التي كانت فيما بعد أساساً لمذهبه ويستبعد الأستاذ « زانكير » صحة هذه الأسطورة ، لأن « بودا » لم يولد إلا بعد هذا الحكيم بمائة وخمسة وعشرين عاماً ؛ وإذا صح سفره إلى الهند ، فلا يمكن أن يصح لقاؤه مع شخص بقى على مولده خمس وأربعون سنة ، فضلاً عن نشأته واستعداده لتلقى العلم ؛ فإذا أضفنا إلى هذا أن حكيمنا لم يعتزل الخدمة إلا بعد بلوغه سن الثمانين استطعنا في سهولة أن نجزم باستبعاد صحة هذه الأسطورة هناك أسطورة نالته تبنياً بأن هذا الحكيم قد كتب ألف كتاب ، منها تسعمائة وثلاثون في شرح فن الحياة العملية والأخلاق والسلوك والمعاملات الإنسانية ، والسبعون كتاباً الباقية في السحر ، وعلى الأخص في صنع التائم التي يجلب حملها السعادة للأحياء

لاريب أن هذه الأسطورة لا تقل عن سابقها بطلاناً ، لأن هذا الحكيم لم يثبت عنه أنه كتب غير كتاب « ناو - تي - كينج » الذي أشرنا إليه آنفاً ، والذي خصصه لتسجيل مذهبه الفلسفي . بل إن النقاد المحدثين يجزمون بأن هذا الكتاب على حاله الراهنة ليس من تأليف « لاهو - نسيه » وإنما هو مجموعة من آرائه وحكمه مضافاً إليها آراء وحكم لبعض القدماء الذين سبقوا عصر هذا الحكيم ، ويرجحون أن هذا الكتاب قد كتب بمدة أقلام مختلفة ، بعضها لتلاميذ هذا الحكيم ، والآخر لبعض المتهذبين بمذهبه

مذهبه

اختلف الباحثون المحدثون في المذهب النظري لهذا الحكيم اختلافات شتى جملت اليقين عسيراً على كل من يحاول الحكم على هذه الفلسفة « اللاهو - نسيه » والسبب في وقوع كل هذه

الفرد ، ووضعت له قواعد وحدوداً ثابتة ، ليس له أن يتعداها أو يشذ عنها في حياته الفكرية . أما الاجتماع والسياسة فعهدهما الفروسية Chivalry وفعله — كما سترى — لم يختلف كثيراً عن فعل غيره من الأنظمة والمبادئ التي ذكرناها

كل هذه الأنظمة تماوتت وتضافت على صيانة الحضارة في العصور الوسطى وخاصة المظلمة منها ، لكنها كانت تتوخى دائماً إعلاء كلمة الجماعة وإخفات صوت الفرد ، فكانت بذلك دون تقدم الحضارة تقدماً حقيقياً ، إذ كلما حاولت سفينة الحضارة الإقلاع ، ألفت الجماعة مرساتها لتوقفها وتميقها عن السير الطرد . والصراع بين الفرد والمجموع قائم على هذا الأساس . فالفرد يتبني ، ورفع الرسالة وتحطيمها ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، بينما الجماعة تريد خلاف ذلك . ومهمة التربية والتعليم في كل عصر ومكان — كما بينا — التوفيق بينهما ، وإصلاحهما إصلاحاً يكفل منه تقدم الحضارة . وسنتناول في هذا المقال نظام الفروسية ونرى كيف كان مرعاة للنظم والمبادئ الاجتماعية والأخلاقية ، وما كان فضله على التربية خصوصاً

الفروسية ، طبيعتها ، نتائجها

الفروسية في أكل وضع لها : نظام أو معهد اجتماعي لاديني (من حيث نشأته) ، ذو مبادئ ، ومثل اجتماعية وأخلاقية عالية قائمة على قواعد وتقاليد رسمية راسخة . ومن شروط الانتماء في هذا السلك أن يكون المرء حر المولد ، شريف المولد ، (أو يكون قد نال النبيل من أحد الملوك) ، يملك ضيعة ، ويستطيع أن يعمل نقرأ من الضعفاء . ولم تمنح العضوية إلا لمن زاد عمره على الحادية والعشرين ، اللهم إلا في آخر عهد هذا النظام ، فقد كانت تمنح لأبناء المائلات المالكة الذين لم يناموا ، أو تجاوزوا السن القانونية لنيل هذه العضوية . وكان لا بد لكل طالب من أن يقضى مدة معينة يجوز في خلالها بعض الامتحانات والرايسيم ، ويتقن العلوم والفنون ، ويتحلل بالسجايا التي يقتضها شرف هذه المهنة . وقد اقتصر المائلات النبيلة على هذا النوع من التربية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد ، خصوصاً مع عدم توفر العلوم فيه كما سترى

الفروسية والتربية

للسيد جريس القسوس

—>>><<<—

كلمة تمهيدية

بما في العالم مشقة كبيرة في التوفيق بين مصلحة الفرد ومصالح الجماعة ؛ وما عرف التاريخ منذ بدئه حرباً أشد هولاً من هذا النزاع بين الفرد والمجموع برغم محاولة الفلاسفة وعلماء الاجتماع ورسول الأديان التوفيق بينهما . إذ تؤثر الجماعة المحافظة ، وتكره كل ظاهرة يرحى من ورائها انتقاص كيانها وهدم صرح نظمها وتقاليدها . بيد أنه قد نبهنا أحياناً فردٌ يشهر عليها حرباً عواناً يُصطدمان ، فإن كتب له الخلود انتصر عليها ، وإلا طمس أثره راح نحية شذوذه

ولقد برهن التاريخ أن الحق في أغلب الأحيان للقوة ، لذا ترى أن عدد أسماء العظماء في التاريخ قليل جداً إذا ما قيس بعدد من خضع لأحكام الجماعة وسلطتها ، وتمشى بموجب تقاليدها ونظمها . والعظيم بحق هو من فاضل الجماعة وغلبيها ، وتمكن من أن يسيرها حسبما يراه صالحاً

أما في العصور الوسطى فقد كانت للجماعة السلطة التامة على الفرد ، دينياً وعلماً واجتماعياً . فهناك الكنيسة تستأثر بالسلطة الدينية ، وترى أن ما تنسئه للفرد على الأرض من شرائع وقوانين يُسنُّ في السماء ، وتتسلح ضده بمحاكم التفتيش والقطع والتأديب ، وتتفرع بكل سلطة زمنية فوق الدينية لتحق حقها الذي هو حق الجماعة ، وتحارب الزنادقة وهم — في رأيها — من شذوا عن مبادئها وخالفوا أحكامها . ويلحق الكنيسة نظام الرهبنة Monasticism ، وقد حل هذا النظام محل معاهد التربية في نشره الفضيلة ، وتميزه ناحية من نواحي الرسالة النصرانية . وهناك الطريقة الزهدية Mysticism التي دعت إلى الزهد وعيشة التقشف والاتصال بروح الله في الحياة الدنيا ، فسيطرت بذلك على فكر الفرد وحياته الروحية وقيدتها مدة ليست قصيرة أما الطريقة المدرسية Scholasticism فقد هيمنت على عقل

كانت مبادئ الفروسية ومثلها العليا خليطاً مما ورثته عن النصرانية والحضارة الرومانية ، واحتفظت به من عادات قبائل البربر الجرمانية وطباعتها . وكان للفروسية صبغة عسكرية في القرون التي تلت سقوط الدولة الرومانية حتى القرن التاسع والعاشر للميلاد ، فكل ملك أو بارون أو لورد أو نبيل ، سافر أو ناضل على ظهر جواد ، وكان له أتباع وحشم عدداً فارساً : فالفروسية والإقطاع هما في الحقيقة توأمان من حيث نشأتهما وشيوعهما . ولقد ازدهر نظام الفروسية واستكمل نموه منذ الغزوات الصليبية الأولى في القرن الحادي عشر للميلاد ، وما فتى ينمو ويشهر حتى أوائل القرن السادس عشر . فكان المعهد التربوي الوحيد خلال تلك القرون للعائلات النبيلة والمالكة ، حتى جاء عصر النهضة Renaissance بمدارسه العالية ، غلت هذه محل الفروسية وغيرها من المعاهد والطرائق التي سبق الإيماء إليها

مبادئها وصفاتها

ومن الصفات التي لم يكن يقتضى اكتسابها تعليماً خاصاً ومجهوداً كبيراً الشجاعة والإقدام ؛ بيد أن ما يرافقهما من التمرن على حمل السلاح واستماله ، والتفنن في ركوب الخيل ، أمور يتلقاها الفرد في سلك الفروسية . وما يصدق على الشجاعة يصدق على الشهامة Gallantry واحترام السيدات ، فإن ذلك لم يكن يقتضى تعليماً رسمياً . على أنه لا بد لاكتساب كل سجية مطبوعة بطابع الفروسية الخاص من وقت طويل وعناء كبير لدقتها وتمتعها . وفيما يلي نبذة للمؤرخ « كورنش » تبين باختصار مبادئ الفروسية وأثرها في حياة الفرد والمجموع يقول :

« لقد علمت الفروسية العالم واجب الخدمة الطوعية الشريفة ورفعت من شأن الشجاعة ، والخضوع لأحكام السلطة ، ووقفت قوتها العسكرية على خدمة الدين ، وشجعت السخاء والإحسان والإيمان القويم ونكران الذات والشهامة ؛ وفوق كل هذا إجلال السيدات . ومع أن للفروسية فضلاً كبيراً على علمي التربية والأخلاق فتألبها شتى ، لأنها كانت تشجع بعض الرذائل كالفرور وحب القتال وازدراء الرعاي والتهاك والخلاعة . ولا سراء في أن هذا المعهد — على ماله من مناب ومثالب — كان ملائماً لروح العصر والبيئة اللذين نشأت فيهما . »

لمهد ليس بالبعيد كانت هناك مبادئ وصفات تؤهل الفرد لاكتساب لقب « جنتلمان » Gentleman ، تلك التي إذا ما جازها عدداً فارساً . من هذه المبادئ والسجايا الشجاعة والأمانة واحترام النفس والانتصاف للشرف والالطف والارقة في المعاملة ونكران الذات وطلب الشهرة عن طريق الحرب ، وغير هذه من الصفات الخشنة كالتراسة والقسوة والنضب إلى حد الجنون ، والتبهرج والإسراف والرغبة في الحياة المبكرة المنيفة الجافة ، والإيمان القويم بالله . وكما أن للرهبنة فضلاً على الناحية الدينية من علمي التربية والأخلاق ، فللفروسية فضل على الناحية اللادينية منها . إذ رفعت من شأن فكرة الخدمة Service والرأفة لدى قوم غلاظ الطباع ، وذلك بأن فرضت عليهم شروطاً وقواعد لا بد لهم من مراعاتها مدة انضوائهم تحت لواء الفروسية . ولو أنمنا النظر قليلاً في هذه الفكرة لألفينا أنه حينما وجدت الطاعة والخدمة ، وجد معها الاستعباد والقسوة . فإذا كان تشجيع الطاعة والخدمة من حنات الفروسية ، فتميز الاستعباد والإذلال هو من سيئاتها ولم تكن الفروسية في الواقع إلا خادمة للرسالة النصرانية ،

نظامها ومراحلها

للتربية في هذا النظام ثلاث مراحل ، تبتدى "أولاً من السنة السابعة وتنتهى بالرابعة عشرة ، ويسمى الفتى في هذا العهد بالوصيف Page ؛ وتبتدى "المرحلة الثانية من السنة الخامسة عشرة وتنتهى بالحادية والعشرين ، ويطلق على الفتى في هذه السن لقب «الرفيق» Squire ؛ أما المرحلة الثالثة والأخيرة فتبتدى من السنة الحادية والعشرين ، وفيها يعرف الفتى بالفارس Knight

كان يجرى التعليم والتدريب في معهد بلاط أحد الملوك Court Schoe ، أو قلعة أحد النبلاء . ففي قلاع النبلاء يجرى تعليم الخاص بالطبقة التي هي دون النبلاء . أما النبلاء فيمتحنون لإلادهم إلى بلاط الملك حيث يخدمون في حاشيته ؛ وفي كثير من الأحيان يمارس أبناء الملوك الخدمة في قصور آباءهم كسائر أبناء بلاء ، ولم يجر التعليم في بيوت العامة لندرة وسائله ، وقلّة ندات التمرين فيه ؛ لهذا كانت دور النبلاء وقلاعهم وقصور الملوك مراداة بالفتيان والفتيات طيلة سنى التعليم والتدريب . ولقد كان للفتيات كما للفتيان حق ونصيب من التربية في هذا العهد ، فقد كان في عصر الإقطاع شريفة^(١) تقضي بأن يرث النبيل ضياع آباء الفتيان والفتيات الذين هم في خدمة النبيل ، وتحوّله حق السلطة على أولئك الفتيان والفتيات والتصرف بهم كما يشاء قبل أن يدر كوا سن الحادية والعشرين . فأدى هذا الحق ، أعنى التحكم في أولاد الميت وبناته إلى تزويجهم حسب إرادة النبيل مسلطاً ، بهذا كان التزاوج بين الفتيان والفتيات شائعاً جداً في قلاع النبلاء ، وخصوصاً في القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد . وطبيعى أن يقوم النبيل بكل ما تتطلبه معيشة هؤلاء الفتيان والفتيات ماداموا قاصرين وعاجزين عن القيام بذلك من تلقاء أنفسهم أما الفتيات فقد كُنّ يتلقين العلوم والفنون المنزلية من خياطة ونسج وموسيقى وغناء ثم الفرنسية وبعض اللاتينية . وكانت تعلم هذه العلوم في مدارس الأديرة ؛ من هذه في انكلترا دير « دارتنورد » Dartford في كنت ، وقد اقتصّ بينات العائلة المالكة ، ودير « كارو » Carow قرب نوردرش وكان خاصاً بينات الطبقة النبيلة ، ومدرسة دير سان ماري في ونشستر

(١) راجع دائرة معارف التربية لوزنوت مادة Ghivalric Education

Winchester وغيرها . وبعد أن تمّ الفتاة تحصيلها في هذه المدارس تعود إلى قلعة النبيل المتولى أمرها ، حيث تكتسب صفات القروسة ، وتجالس الفتيان في « الصالون » حتى تصل إلى اختيار زوجها منهم . وغالباً ما دفعت هذه العادة الكثيرين إلى أن يعمثوا بناتهم وأبنائهم إلى هذه القلاع ، ليلتحقوا في خدمة النبيل ظاهراً ، وينشدوا الزواج باطناً . فالزوج هو في الحقيقة غاية ما كانت ترمي إليه تربية القروسة في هذه المرحلة ، لأن من كان خليقاً بالزواج عن هذه الطريق كان جديراً بنبيل شرف القروسة

نعود الآن إلى الوصيف لنرى كيف يتدرّج في مراحل هذه التربية حتى يصبح فارساً . ينشأ الوصيف والوصيفة مع نساء حاشية النبيل حتى السنة السابعة ، وفي خلال هذه المدة يكون الوصيف قد ألف ركوب الخيل ، وتعلم هو والوصيفة القراءة والكتابة وبعض مبادئ العلوم البسيطة التي تقتضيها الخدمة المنزلية . وكما تقدم الوصيف في السن ، تمعدت العلوم التي يتلقاها وصعبت . فحينما يصل سن السابعة يشرع في تعلم فنون الصيد واللمب بالسيف والترس ورمى القرص والرمح . وليست هذه الفنون مهلة النال كما يظهر ؛ ففن الصيد مثلاً يتطلب إلماماً بقوانين الناب Forest Laws ، وهو ينقسم إلى قسمين : —

- (١) سيد الغزال وما كان من فصيلته وعلى شاكلته Fenery
- (٢) والبيرة ؛ وهذا القسم ضرب معقد من ضروب الصيد يقتضى معرفة بأنواع الطيور وكيفية إقانتها وتدريبها على الصيد . وعدا هذا يتعلم الوصيف أصول المصارعة والملاكمة والجري وركوب الخيل واللمب بالسيف والرمح ومبارزة الديبة والجواميس . كان الوصيف مشغولاً بهذه الفنون العملية كل الشغل ، لأنها كانت ذات أثر مباشر في حياته ؛ لهذا لم يُمن كثيراً بتعلم القراءة والكتابة والموسيقى . بيد أن إعراضه عن هذه العلوم النظرية إلى غيرها لا يعنى عدم اهتمام مدارس القروسة بها ، فقد كان للوصيف فرصة سانحة ليتعلم فيها المرف على بعض الآلات الموسيقية والتدريب على الغناء . وقد تخرّج في هذا العهد المنشدون الكثيرون Minstrels الذين كانوا يرحلون من بلد إلى آخر ، ويحلون حيث غواة الموسيقى وعشاق الفن . ولقد عنيت

وخصوصاً في أوان البارزة . فمما تعقد حفلات البارزة مهرع إليها أجل الفتيات وأنبلهن ؛ وقد تستغرق الحفلة الواحدة ثلاثة أيام أو أكثر . وللبارز إذا انتصر على خصمه أن يجرده من سلاحه وجواده ، وأن يمر بالفتيات ، فيتمدهن بنظره حتى يقع بصره على إحداهن ، فيختارها لتسمى ملكة الحب والجمال « Queen of Love and Beauty » فتتوج بالكليل وتشرف على بقية الحفلات بين السيدات يحطن بها من كل جانب ، راغبات في التقرب منها تشرفاً

وللكنييسة أثرٌ ملموس في حياة الفارس ، فتراها إذا ما قارب السنة الحادية والعشرين من عمره ، سيطرت عليه ، ووجهت حياته السلية والحربية إلى ما فيه خيرها ونفعها . فتعرض له بعض الراسيم والامتحانات الدينية المعقدة التي لا بد له من اجتيازها أهم هذه ما يجيء في الحفلة النهائية التي يصبح فيها « الرفيق فارساً ؛ وتستغرق هذه الحفلة أحياناً عدة أسابيع ، فيصرف بضع أيام في الصوم وليلة في إحدى الكنائس القديمة المظلمة ، مسترسلاً في التأمل والتفكير ، ثم يستحم ، ويعترف عند أحد الكهنة ، وبعد ذلك تعقد الحفلة النهائية ، ويرأسها أحد الكهنة ، وفيها يخلع عليه الكاهن ثوباً أبيض رمز الطهر والنقاوة ، وآخر أحر إشارة إلى ماسيفكه من الدم في الدفاع عن مبدئه ودينه ، وسُتره سوداء قصيرة نذكرة بشبح الموت الذي سيلقاه دون خوف أو وجل ؛ ثم يصنى إلى عظة بليغة بليتها الكاهن عن حياة الفروسية . وفي النهاية يقسم الفارس بين الفروسية الرسمي وخلصته : « أن يذود عن الكنييسة ، ويكافح الأشرار ، ويحترم رجال الدين ، ويحل الجنس اللطيف ، ويصون الضعفاء ، ويحسن إلى الفقراء ، وألا يحجم عن سفك دمه في الدفاع عن بني دينه وجنسه » . ثم ينادى فارساً باسم الله ، والقديس جورج ، والقديس ميخائيل ، ويناوكل السيف والمهراز ويبلطم على وجهه لطمه خفيفة رمزاً إلى آخر إساءة يستطيع أن يصفح عنها ، وإلى حياة العنف والجهاد التي سيحياها

ويقضى الفارس الستين المشر الأولى التي تسبق السن القانونية للاتحاق بالفروسية في الدرس المتواصل ، والاستعداد الدائم لهذه الحفلة التي تمد أكبر حادث في حياته . ولقد ورد في

بعض المائلات المدينة بتعليم الموسيقى والنشيد الديني ، فكان منها مدارس خاصة ، عدا نظام الفروسية كان الوصيف يصرف أوقات فراغه في الخدمة المنزلية ، ومشاركاً في حياة النبيل العائلية ؛ فتراه يرافق سيده « زوجة النبيل » أنى ذهبت ، ويقوم بخدمتها المنزلية بكل طاعة وإذعان . ومن الخدمات البسيطة التي اختص بها تجفيف عرق سيده ، وذوب اللباب عنها ساعة نومها بمروحة لا تكاد تفارق يده طيلة أشهر القيظ

وما يكاد الوصيف يشب ويصبح « رقيقاً » Squire حتى يشرع في تعلم فنون جديدة كفن المناذاة Heraldry ، وهو فن معقد يقتضى إتقانه عناية وبجهوداً كبيرين ، و « تقطيع اللحم » وهذا أيضاً فن قائم بذاته ، وقد أهمل وتنوسى على مرور الزمن . وأهم واجباته المنزلية في هذا العهد تحضير الموائد ، فهو الذي يقطع اللحم — كما قلنا — ويتناول صحون الأطعمة وكؤوس الخمر من الوصفاء ، ويوزعها على الضيوف . وعلى الرفيق أن يعد فراش النبيل ، وأن يتولى سياسة حصانه ، وأن يقوم بتعبئة البنادق وصقلها وتنظيفها . وعليه أن يرافق سيده في سفراته الطويلة ، ويتولى رعايته وحراسته في الليل ، فلا يغمض له جفن مادام سيده نائماً . وعلى « الرفيق » أن يلحق الوصيف كل ما تقتضيه الخدمة المنزلية ، وتتطلبه الحياة العملية كركوب الخيل ، وتعلم اللغات الألمانية والانكليزية وبعض اللاتينية (أما الوصيفات فالفرنسية) ، والمزف على الناي والقانون ، والرقص والغناء ولعبة الشطرنج ، ومبادئ الفروسية وقوانينها . ومن الكتب التي كانوا يتمدنونها في تعلم مبادئ الفروسية وصفاتها في انكلترا خصوصاً كتاب « سلوك الفلام على المائدة » لقروستست « Bishop Grosseteste's Stans Puer ad Mensam » وعلى « الرفيق » أن يرافق زوجة النبيل في روحها وحياتها وأن يلاعها الشطرنج ويراقصها ويمزف ويغنى لها . أما علاقته معها ففضيلة غاية العفة ، بريئة غاية البراءة ، فلما تؤدي إلى الفعل المنكر ، لأنه بمرافقتها إياها وإذعانه لها يكتسب صفة من أسمى صفات الفروسية وأنبلهما ، ألا وهي إجلال الجنس اللطيف وإيناسه . وكان يتجلى هذا الشعور في المرحلة الأخيرة من مراحل الفروسية

سر ولترسكوت وخاصة « إيفنوه » Ivanhoe « وتلسان »
Talisman « والأبوت » The Abbot

وفي إحدى قصص وليم تاكرى William Thackeray
الرائعة أعني « هنري إزموند » Henry Esmond وفي غير
ذلك العصر من عصور الأدب الانكليزي كمصر اليصابات مثلا
وخصوصاً في بعض ملاهي شكسبير مثل « جمجمة ولا طحن »
Much Ado About No thing و « رجلا فيرونا » Two
Gentlemen of Verona « وكما تشاء » As you Like it
والقام يضيق عن التوسع في هذه الناحية ، فمسي أن يقوم
من بين الأدباء من يجد في نفسه الكفاية للبحث في علاقة
الفروسة بكل من الأدب والسياسة وفضلها وتأثيرها عليهما .

مريس القوس

الجامعة الأمريكية : بيروت

مصادر هذه الرسالة

1. Monroe's Hist. of Education
2. Monroe's Cyclopedia of Education: (Chivalric education)
3. Cyclopedia of Social Sciences : (Chivalry in Europe)
4. Encyclopedia Britanica : (Knighthood)
5. Cubberly's Hist. of Education
6. مقالة الأستاذ عبد الله عنان عن « الفروسة » في « أحسن ما كتبت » ص ٢٥

رسالة كتبها جيلس دي روم « Giles de Romme » لتليذه
الملك هنري دي جاندي « Henry de Gand or Ganchy » في
صفره بعض الموضوعات والدروس التي يتعلمها « الرفيق »
والصفات التي لا مناص له من اكتسابها لكي يكون فارساً ،
منها الإحسان والشجاعة والاعتدال ؛ والقسم الأخير من الجزء
الثاني من هذه الرسالة يتناول ذكر واجبات « الرفيق » نحو
الكنيسة . أما الفصل السابع فيقتصر على الموضوعات العلمية كتعلم
اللاتينية والالامبالفلسفة ، وعلم البيان Rhetoric وهذا خاص بأبناء
الأمراء والملوك ، وعلم الحساب الذي لا بد منه لإتقان الموسيقى ،
وتعلم الهندسة التي لا غنى لطالب علم الفلك عنها . كل هذه العلوم
خاصة بأبناء الطبقة الوسطى Gentry . وهناك عدا الفنون السبعة
المعروفة فنون وعلوم أخرى لا بد للطالب من تعلمها وهي :

(١) العلوم الطبيعية لأنها تتعلق بطبيعة الأشياء

(٢) علم ما فوق الطبيعة لأنه يبحث عن الله وملائكته

(٣) علم اللاهوت

(٤) علم الأخلاق لأنه يعلم الفرد ضبط نفسه

(٥) علم السياسة لأنه يعلم إدارة المدن والممالك

وشعار الفارس في حياته - كما رأيت - الدين والحلب
والحرب ، فهو الخادم الأمين للطبع للكنيسة ولسيدته التي تمثل
الجنس اللطيف كله ، ولسيده الذي يمثل الملوك والنبلاء

وترى مما تقدم أن الفروسة لعبت دوراً باهرأ في تاريخ التربية
خصوصاً والحياة الاجتماعية عموماً ، وأن منهاجها لا يقل عن
منهاج الجامعات والمدارس الابتدائية Grammar Schools في
القرن الثالث عشر للميلاد خصوصاً ؛ وأثره في أدب الإفرنج لا يقل
عن أثره في التربية والاجتماع والسياسة . فقد أصبح مستق
فيأناً لأدبهم ، وعلى الفروسة تدور بعض القصص الرائعة
والقصائد الحماسية والأناشيد الشائعة ؛ وحسبنا في هذا المقام أن
نذكر أن الرجوع إلى المصور الوسطى عموماً والفروسية
خصوصاً لا اختيار الموضوعات الأدبية كان من أكبر خواص ومظاهر
العصر الابتداعي Romantic Age في الأدب الانكليزي في
القرن التاسع عشر . وأثر هذا ظاهر في بعض قصص

رفائيل

لشاعر الحب والجمال لامرتين

مترجمة بقلم

احمد حسن الزيات

تطلب من لجنة التأليف والترجمة والنشر

ومن إدارة « الرسالة »

العدد ١٢ قرشاً

أبحاث تاريخية هبرية

الإسلام في غرب أفريقيا

مدى انتشاره في تلك الأقاليم وبلغ أثره في الأقاليم

للأديب جمال الدين محمد الشيال

تقريرا

بدأ الإسلام في شبه جزيرة العرب ... ومنها انتشر سريعاً في مختلف أنحاء العالم فوصل إلى الصين شرقاً امتد إلى الأندلس والمحيط الأطلسي غرباً. وأبنا وصل الإسلام نشأت حضارة إسلامية جديدة أخذت عناصرها من حضارة الإقليم الهرمة المحطمة ومن حضارة الدين الجديد وتعاليمه... ثم استقرت هذه الحضارات، كل حضارة في إقليمها الخاص بها... وظهرت لها بمرور الزمن مميزات خاصة... ولكن هذه الحضارات كانت تتصف بصفات مشتركة تجتمع فيها عند نقطة واحدة تميزها جميعاً... تلك هي أمة حضارات إسلامية

وفي كل بلد من هذه البلاد الإسلامية وجدت معاهد للعلم ونشأ العلماء في كل فن... ونبغوا... ورحلوا... ونشروا دينهم... وكتبوا الكتب تتحدث عن كل علم وفن... وتصف كل قطر عرفوه أو رحلوا إليه أو نقلوا إليه دينهم...

وكانت بلاد المغرب إحدى تلك الأقاليم التي انتشر فيها الإسلام وإحدى تلك الأقاليم التي نشرت الإسلام في طول الصحراء وعرضها حتى وصل إلى حدود الكرون جنوباً وإلى شاطئ المحيط الأطلسي غرباً... وقد تحدث المؤرخون الإسلاميون عن هذه الجهات في كتبهم ورحلاتهم...

فأبو عبيد البكري الأندلسي وابن فياض الأندلسي وابن خرداذبة كلهم يتحدثون عنها وعن حدودها فيقولون: « فأول بلاد المغرب مما على ساحل البحر الرومي مدينة أنطابلس المعروفة ببرقة، وآخرها مما على ساحل البحر الأعظم مدينة طنجة، وطنجة هذه آخر بلاد المغرب المحقق وما بعدها من البلاد فإنما هو في الجنوب إلى أن يأتي بلاد الحبشة والهند... »

أما ابن بطوطة فقد جاب الصحراء المسلمة واتصل بقبائلها

وملوكها ووصل حتى بلدة كارسجو بين نهري النيجر والسنغال. وابن بطوطة رحالة عاش في النصف الأول من القرن الرابع عشر، وقد طاف في معظم الجهات الإسلامية المعروفة في ذلك الحين ومنها غرب أفريقيا؛ وقد أحببت أن أنقل عنه أخبار انتقاله باختصار لتكون دليلاً مادياً على وصول الإسلام لتلك الجهات وإن كان الرجل يخلط خطأ غربياً بين نهري النيل والنيجر، ولكن له في الواقع عذره لجهل العالم كله في ذلك العصر بأواسط أفريقيا ومتابع أبحاثها. يقول ابن بطوطة:

« ثم سرنا من زاعنزي فوصلنا إلى النهر الأعظم وهو النيل وعليه بلدة كارسجو؛ والنيل يتحدر منها إلى كارة، ثم إلى زاتمة؛ ولكارة وزاتمة سلطانان يؤديان الطاعة لملك مالي... وأهل زاتمة قدماء في الإسلام ولهم ديانة وطلب العلم؛ ثم يتحدر النيل إلى تنيكتو، ثم إلى كوكو، ثم إلى بلدة مولى من بلاد الليميز - وهي آخر عمالة مالي - ثم إلى يوفي، وهي من أكبر بلاد السودان، وسلطانها من أعظم سلاطينهم؛ ثم يتحدر إلى بلاد النوبة وهم على دين النصرانية؛ ثم إلى دنقلة، وهي أكبر بلادهم وسلطانها يدعى بابن كز الدين أسلم أيام الملك الناصر؛ ثم يتحدر إلى جنادل، وهي آخر عمالة بالسودان، وأول عمالة أسوان من صعيد مصر »

« ثم سرنا من كارسجو فوصلنا إلى نهر منعرة، ثم رحلنا إلى بلدة ميمة فزلنا منها على آبار بخارجها، ثم سافرنا منها إلى مدينة تنيكتو، ومن تنيكتو ركبنا النيل في مركب صغير منحوت من خشبة واحدة، ثم سرت إلى مدينة كوكو وهي مدينة كبيرة على النيل؛ ثم سافرت منها إلى تكدا، ووصلنا إلى كاهر من بلاد السلطان التكركري؛ ثم سرنا بعد ذلك خمسة عشر يوماً في برية لا عمارة فيها إلا أن بها الماء، ووصلنا إلى الموضع الذي يفرق به طريق غات الآخذ إلى ديار مصر وطريق ثوات، وسرنا من هنالك عشرة أيام ووصلنا إلى هكار وهم طائفة من البربر ملتصون، وسرنا من بلاد هكار شهراً، ووصلنا يوم عيد الفطر إلى بلاد برار، ثم وصلنا إلى بودا وهي من أكبر قرى ثوات، وأقمنا بيودا أياماً ثم سافرنا في قافلة، ووصلنا في أواسط ذي القعدة إلى مدينة سجلماسة... الخ^(١) »

(١) رحلة ابن بطوطة - طبعة وزارة المعارف سنة ١٩٣٣ م ٣٠١

ومن هذا نرى أن ابن خلدون في وصفه للبلاد أدق بكثير من غيره من كتاب العرب ؛ وتبدو لنا دقته من وصفه لتفرع بحر الروم من البحر المحيط ، وتبدو لنا دقته بوضوح بعد هذا بقليل عند ما يتبع العرق حتى يصل إلى النيل . وسيدو لنا ابن خلدون أكثر دقة عند كلامه عن شعوب البربر ، وقد أردت أن أبدأ بوصف جونستون لهذه الشعوب ثم أتبعه بوصف ابن خلدون ؛ وسنرى بعد قراءة الوصفين أن ابن خلدون على تقدم عصره كان أجمل وصفاً وأدق تمبيراً من جونستون . ولا غرو فإن خلدون ابن تلك الفياق والبلاد . وسنأتي الآن بتقسيم جونستون لمجمعات البربر : في أوائل القرن السابع كان الجنس الليبي أو بربر شمال أفريقيا الذين كانوا يسكنون كل المنطقة الواقعة بين الحدود الغربية لمصر (بعد واحة سيوة) شرقاً وساحل مراکش غرباً ينقسمون إلى : -

(١) البربر الشرقيون أو الليبيون (لوآنا Luota وهوارة Huore وأورينا Aurizgha ونفوسة Nefuse) ويسكنون تيرينيقا وطرابلس وتونس وجزءاً من شرق الجزائر

(٢) البربر الغربيون أو صنهاجة Senhaga وكانوا يشغلون سواحل الجزائر وغربها وكل مراکش حتى يصلوا إلى حدود الصحراء جنوباً

(٣) زناتة Zeneta وهم أتم لونا وقد انحدروا من Getulians وقد يتصلون في الأصل بالفلو الذين سكنوا في القرن السابع أجزاء كانت تقل أو تكثر من الإقليم الصحراوي جنوب الجزائر وتونس ومراكش ومن زناتة انحدر البربر المزاب Mzab Berbers الحديثون وقبائل الورجلي Wargli People وبنو مرين Beni Merin الذين أسسوا أسرة حكمت البربر فيما بعد

وقد دُفع كثير من زناتة السود إلى شواطئ البحر الأبيض المتوسط في فترات مختلفة ، كما أن كثيرين من البربر الشرقيين أو الليبيين قد دفعوا إلى قلب الصحراء تحت تأثير العرب الفاتحين ومنهم نشأت مزرقة الطوارق فيما بعد . وكذلك هاجر كثيرون من البربر الغربيين أو الصنهاجيين في القرن السابع إلى الصحراء جنوباً واستقروا شمال نيجريا وشمال حدود السنغال فليس هناك من شك أن كلمة زناجا Zenaga (اسم قبيلة من قبائل

وهو إذ يتحدث عن معدن النحاس ص ٣٢٠ يقول أو يحملون النحاس منها إلى مدينة كوبر من بلاد الكفار - وإلى غاي - وإلى بلاد برنوهي على مسيرة أربعين يوماً من تكدا أهلها مسلمون ولهم ملك اسمه ادريس ... »

من هذا نستبين بكل وضوح أن أقصى ما وصل إليه ابن بطوطة غرباً هو مدينة « كارسخو » وهو في كل تلك المنطقة في طاف بها يذكر لنا أنه كان ينزل بساطن الولاية السلم رجب به ويجمعه بقضاة الولاية وعلمائها . غير أن ابن بطوطة يصل إلى شاطئ المحيط من جهة الغرب في حين أن الإسلام ان منتشر في غانة في ذلك الحين كما سنرى من قول ابن خلدون اصرا لابن بطوطة في كتابه « المغرب في تاريخ الدول الاسلامية غرب » وهو يبدأ بتحديد بلاد المغرب وغرب أفريقيا على عهده ، وله في ذلك ثقة لأنه نشأ في تونس وتنقل في معظم بلاد المغرب تلمسان وبكرة وبجاية وغيرها . وانصل بالحكام في كل تلك قليم ، وله كتابه المشهور (العبر وديوان المتبدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر)

مربور المغرب كما جاءت في كتاب « المغرب » لابن بطوطة

« إن المغرب قطر واحد متميز الأقطار ، فحده من جهة الغرب البحر المحيط ، وعليه كثير من مدنه مثل طنجة وسلا وأدفو وأنتي وأسني ، وهي كلها من مساكن البربر وحواسرهم ؛ وأما حده من جهة الشمال فالبحر الرومي التفرع من هذا البحر المحيط يخرج في خليج متضابق ما بين طنجة من بلاد المغرب وطريف من بلاد الأندلس ؛ وأما حده من جهة القبلة والجنوب فالرمال المسهيلة المائلة حجرا بين بلاد السودان وبلاد البربر ، ويعرف عند البادية بالعرق ، وهذا العرق سياج على المغرب من جهة الجنوب مبتدىء من البحر المحيط وذاهب في جهة الشرق على سمت واحد إلى أن يعترضه النيل الهابط من الجنوب إلى مصر فهناك ينقطع ؛ وأما حده من جهة الشرق فيختص بطرابلس وما وراءها إلى جهة المغرب مثل أفريقية والزاب والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى والسوس الأدنى والأقصى . هذا هو المغرب في العرف لهذا العهد وهو الذي كان في القديم ديار البربر ومواطنهم (١) »

(١) (المغرب في تاريخ الدول الاسلامية بالمغرب) لابن خلدون . طبعة لايدن سنة ١٨٤٨ . ص ١١٨ وما بعدها

البربر) قد أخذت من صنهاجة ثم حرف البرتقاليون زناجافيا بعد فأصبحت « ستغال » (١)

وفي القرن السابع كذلك كانت هناك علاقات تجارية بين زوج الجارامنت Negroid Garamantes وبين جنوب وشرق ليبيا ووصلت هذه العلاقات حتى كانم وبحيرة شاد ودارفور وكردفان ، فكانت هذه الطرق أكبر مسهل للعرب في فتوحهم المستقبلية للسودان وبلاد المغرب

هذا ملخص تقسيم جونتون لهذه القبائل . ولتر الآن ماذا يقول ابن خلدون في وصفها قال : « هذه الأمم السودان من الآدميين هم أهل الإقليم الثاني وما وراءه إلى آخر الأول ، بل وإلى آخر العمور متصلون ما بين المغرب والشرق بجاورون بلاد البربر بالمغرب وأفريقية وبلاد اليمن والحجاز بالوسط ، والبصرة وما وراءها من بلاد الهند بالشرق ؛ وهم أصناف وشعوب وقبائل أشهرهم بالشرق الزنج والحبشة والنوبة ، وأما أهل المغرب فنحن ذا كروهم ، وأما نسبهم فإلى حام بن نوح »

« وعد ابن سعيد من قبائلهم وأممهم تسع عشرة أمة فهم بالشرق الزنج على بحر الهند ولهم مدينة منبسة وهم بجوس ويليهم بربر ، والإسلام لهذا المهدي فاش فيهم ولهم مدينة مقدشوا على البحر الهندي يعمرها تجار المسلمين ، ومن غربيهم وجنوبيهم الدمام وهم حفاة عمارة ؛ ويليهم الحبشة وهم أعظم أمم السودان وهم مجاورون لليمن على شاطئ البحر الغربي منه ؛ ويليهم البجا وهم نصارى ومسلمون ولهم جزيرة مدينة دنقلة غرب النيل وأكثرهم نصارى ؛ ويليهم زغاوة وهم مسلمون ومن شعوبهم تاجرة ؛ ويليهم كانم وهم خلق عظيم والإسلام غالب عليهم ومدينتهم حبيى ولهم التغلب على بلاد الصحراء إلى فتران ؛ ويليهم عن غربيهم كوكو وبعدهم نقارة والتكرور ولى وغنم وجابي وكوري وانكرار ويتصلون بالبحر المحيط إلى غانة في المغرب »

« ولما فتحت أفريقية المغرب دخل التجار بلاد المغرب منهم فلم يجدوا فيها أعظم من ملك غانة . كانوا مجاورين للبحر المحيط من جانب الغرب وكانوا أعظم أمة ولهم أضخم ملك ، وكانت تجاورهم من جانب الشرق أمة أخرى فيما زعم الناقلون تعرف

بصوصو . ثم بعدها أمة أخرى تعرف بمالى . ثم بعدها أمة أخرى تعرف بكوكو ويقال لها كاغو . ثم بعدها أمة أخرى تعرف بالتكرور . ثم إن أهل غانة ضعف ملكهم وتلاشى أمرهم واستفحل أمر الملثمين المجاورين لهم من جانب الشمال مما يلي بلاد البربر واعتزوا على السودان واستباحوا حماهم وبلادهم واقتضوا منهم الأناوات والجزى ، وحملوا كثيرا منهم على الإسلام فدانوا به ؛ ثم اضمحل ملك أصحاب غانة وتغلب عليهم أهل صوصو المجاورون لهم من أهل السودان واستعبدوهم وأصاروهم في جملتهم . ثم إن أهل مالى كثروا أمم السودان في نواحيهم تلك واستطالوا على الأقاليم فتلبوا على صوصو وملكوا جميع ما بأيديهم من ملكهم القديم ، وملك أهل غانة إلى البحر المحيط من ناحية الغرب وكانوا مسلمين يذكر أن أول من أسلم منهم ملك اسمه « برمندانة » . ثم يذكر ابن خلدون بعد ذلك من تولى الحكم بعد هذا الملك حتى يصل إلى الملك ساكوره (سبكرة) فيقول عنه : « وحج أيام الملك الناصر وقتل عند مرجعه بتاجورا وكانت دولته ضخمة اتسع فيها نطاق ملكهم وتغلبوا على الأمم المجاورة لهم وافتتح بلاد كوكو وأصارها في ملكة أهل مالى فاتصل ملكهم من البحر المحيط وغانة بالمغرب إلى بلاد التكرور في الشرق ، واعتز سلطانهم وهابتهم أمم السودان وارتحل إلى بلادهم التجار من بلاد المغرب وأفريقية ... الخ »

هذا هو كلام ابن خلدون وقد تمدت أن أقتله في هذه السطور الكثيرة لأنه قد شرح ما ألم به ابن بطوطة وما أجمله جونتون ، فن كلام ابن خلدون نستطيع أن نفهم بوضوح أى القبائل كانت تسكن في كل تلك الأقاليم ، ونستطيع أن نفهم بوضوح أى هذه القبائل كانت تدين بالإسلام وإلى أى حد وصل الإسلام ؛ ولكن ابن خلدون عاش في أوائل القرن الرابع عشر كما قلنا وهو إذ يتحدث عن هذه الديار يتحدث عنها كديار إسلامية انتقل إليها الإسلام من مختلف الجهات واستقر بها وأثر في أهلها ، ولكننا قد تسامل بدهذا : كيف دخل الإسلام إلى تلك الجهات وكيف انتحم على أولئك الزوج غالبهم وأحراجهم ويوتهم ومدنهم ؟ وكيف أثر في الأهلين وفي عاداتهم وأخلاقهم ؟ هذا ما سنتناوله الآن بالبحث

الهيكل

لشاعر الحب والجمال لا مارتين

ترجمة السيد عارف قياصة

« مهداة إلى أستاذنا الزيات اعترافاً بما لرجته من
فضل على الترجين ،
(عارف)

(ولج الشاعر ذات مساء ، يعة قرية ، فاذا ضوء خانق يبر ظلمتها ، وإذا
نفسه الطاهرة تبيض بالحواطر ، وإذا قلبه الخاشع يبيض بالشعر ، وإذا هو
يخرج من البعة ويمتشي براعته . ويسجل هذه القصيدة في صفحة الخلود) :

ما أحيلاه حين يصعد كوكب الشفق إلى القبة الزرقاء ،
وقد سبق محفة الليل الهادئة الوداعة ، وحين يتنازع النور والظلام
عمرش الغبراء . ما أحيلاه إذا ما ضرب في أعماق الوادي ، والقلب
عاصر بالتقوى ، زآخر بالورع ، مولياً وجهه شطر الهيكل القروي
حيث تجلج الطبيعة على أروقته الساذجة ثوباً من الأشنة ، وحيث
زال الحجب وتكشف الأغطية ، وحيث تتحدث السماء إلى قلوب
طففت بالتقوى

تحية أيتها النابتة المقدسة ! تحية يا أيها الحقل الذي رفرف
إلحام فوقه ، يا حارس أجدات القرية ! إني لأبارك أرماسك
المتواضعة في غدوي ورواحي . ومع الأولى مشوا على رفات العباد
اختيالاً ! جثوت على ركبتي أمام قبورهم إجلالاً وقد رنت أقدامي
في صخرة الهيكل . الليل ساج داج ، والضوء خافت مرتمش في
المحراب ، ينبعث من سراج وهاج ، تألق قرب (المذابح)
المقدسة ، سراج يتلألاً حين يبسط الكرى أجنحته على الكون
ومض الإحسان الساهر ، مسح مدامع البؤساء ، وجامع آهات
الأشقياء

دلقت إلى الهيكل ، فلم ير في أذني غير اهتزاز فئانه تحت
وقع أقدامي الموزونة . أيتها الجدران المباركة ! أيتها المذابح
المقدسة ! إني لفريد وحيد ، وإن نفسي لتود لو سكبت أمامك
آلامها الممضة ، وغرامها المضي ، وأودعت السماء كلمات خفية ،
ستدرك كتبها هي وحدها ، وستسمعها أنتن وحدكن

ولكن لم أزهف إلى تلك المذابح غير هياب ولا وجل ؟
أي رب العظيم ! إني لأجرؤ أن أحمل في هذا الهيكل الخاشع قلباً
يرمضه الألم ، ويضنيه الغرام . رحماك ربني ! إني لأحس بالردة
تسرى في كياني ! إغفر ما اجتريحت في بيتك من خطايا وآثام .
كلا ! إن نار الجوى التي تلهمني لا تصبغ وجهي بحمرة الإثم .
الحب طاهر ما أذكت الفضيلة لظاه ، نقي نقاوة من أخلصت لها
الوداد . إن غرامي ليلذع قلبي ولكن بجذوة مقدسة ، فالصبر
يشرفه ، والشقاء ينقيه ويطهره

لقد ذكرته إلى الغبراء ، وإلى الطبيعة الحسنة ؛ ذكرته أمام
مذابحك المقدسة في غير وجل ولا إشفاق ، وإني لأجرؤ على
ذكره أمام عظمتك أيها الرب القدير ! أجل ! لقد تمتعت شفاهي
باسم « إلفير Elvire » برغم ماقدفه هيكله من الروح في فؤادي .
إن ذلك الاسم الحبيب الذي تعيده الأجدات إلى الأجدات ،
وتهمس به الأموات في آذان الأموات ، ليكدر سكون المقبرة
الرهيب كما يكدره شق زفر آهة معولة

تحية أيتها الرموس المرقورة ! تحية أيتها المنازل المقدسة !
لقد أعاد صدق الليل سوبعاتنا السعيدة وأويقاتنا الحبيبة حين
أذريت دمعي أمامك . شاهدت السماء مدامسى الصفوحة فقرت
عيني وطابت نفسي
لعل « إلفير » التي تساهر وحيدة صورتي الحبيبة ، تدلف
في تلك اللحظة إلى معبد داج ، مخضلة العينين بالدموع ، وتجتو
أمام المذابح القفرة تودع آلامها وأشجانها كما أودعت آلامي
وأشجاني

عارف قياصة

حماة « سوريا »

أطلب مؤلفات
الاستاذ المشهور
الاستاذ الصالح
الاستاذ الصالح

من : مكتبة الرشد ، شارع الفلكي (باب اللوز)
من : المكتبات العربية المشهورة

فتيل الأويب

هذه تارة محرفان للتصانيف

٢٤٥ - مكشوف الرأس

في (شذرات الذهب) لابن العماد الحنبلي : في سنة (٤٥٦) توفي عبد الواحد بن علي بن يهان العكبري النحوي صاحب التصانيف ، قال الخطيب : كان مطلقاً معلوم كثيرة منها النحو واللغة والنسب وأيام العرب ، وله أنس شديد بعلم الحديث . وقال ابن ماكولا (١) : سمع من ابن بطة ، وذهب بموته علم العربية من بغداد ؛ وكان أحد من يعرف الأنساب ولم أر مثله ؛ وكان فقيها حنفياً ، أخذ علم الكلام عن أبي الحسين البصري وتقدم فيه . وقال ابن الأثير : له اختيار في الفقه ، وكان يمشي في الأسواق مكشوف الرأس (٢)

٢٤٦ - عن ابن الرومي عن الترمذي . .

ابن الرومي :

أرى حسن هذا الترمذي النضّ نجراً

عن الله أن ليس التنيذ محرماً

٢٤٧ - وكنتم قبو سرأ يموت في ضلوع طائم

مبار :

ما برحت مظلمة دنياكم حتى أضاء كوكب في هاشم
فلتم به وكنتم قبله سرأ يموت في ضلوع كاتم (٣)

٢٤٨ - نورة لا تخمّل أنه تخمّل بين الأوكف

سئل أبو العباس بن البناء ، وكان رجلاً صالحاً ، في قوله تعالى :

(١) علي بن هبة الله من نسل أبي دلف وله (الأكال) ، وعليه اعتماد المحدثين كما قال ابن خلكان

(٢) ومن كانوا يمشون مكشوف الرؤوس : الشيخ زين الدين عبد القادر الشطوطي (نسبة إلى دشطوط من قرى الصعيد وقته ٩٢٥) وعبد المال المصري (وقته ٩٣٦) وإبراهيم المصري المشهور بأبي لحاف (وقته ٩٤٠)

(٣) وفي رواية وهي التي في الديوان الطيوع (بتم به وكنتم من قبله) بتم ظهروهم ، وبعد البيت :

حلتم بيديه وعنه يد الوهاد في ذرى العوام

تخفق راياتكم منصوره إذا ادركتم باسمه في جاحم

(قالوا إن هذان لساحران (١)) لم لم تعمل إن في هذان ؟

فقال : لالم يؤثر القول في القول ، لم يؤثر العامل في الممول

فقال له : يا سيدي ، هذا لا ينهض جواباً فإنه لا يلزم من بطلان قولهم بطلان عمل إن

فقال له : إن هذا الجواب نورة لا تخمّل أن تخمّل بين الأوكف

٢٤٩ - رفه

في (البيضة) : كان سيف الدولة قلماً ينشط لمجلس الأنس لاشتغاله عنه بتدبير الجيوش ، وملابسة الخطوب ، وممارسة الحروب . فوافقت حضرته إحدى المحسنات من قيان بغداد ، فتاقت نفس أبي فراس إلى سماعها ، ولم ير أن يبدأ باستدعائها قبل سيف الدولة ، فكتب إليه يحثه على استحضارها :

عملك الجوزاء أو أرفعُ وصدرك الدهناء أو أوسع (٢)

وقلبك الرحب الذي لم يزل للجيد والهزل به موضع

رفه بقرع المود سمماً غدا قرع العوالي جُلّ ما يسمع

فلتفت الأبيات المهلبى الوزير فأمر القيان بحفظها وتلحينها ،

وصار لا يشرب إلا عليها

٢٥٠ - كيف يصبح ؟ كيف يمسي ؟

عيد الله بن العباس الريمي :

ياشادناً رام إذ مرّ في السمانين قتلى (٣)

تقول لي : كيف أصبحت ؟ وكيف يصبح مثلي ؟ !

البديع المهداني :

يا سائلي ، كيف تمسى ؟ أخو الهوى كيف يمسي ؟ !

٢٥١ - الصلوة رصم

في (كتاب أخبار النساء) لابن قيم الجوزية : قال بعضهم :

(١) قرأ أبو عمرو : إن هذين لساحران ، وابن كثير وجنس إن

هذان لساحران (واللام هي الفارقة) وأبي : إن ذان إلا ساحران . وهناك

غيرها منها إن هذان لساحران وفي (أعراب القرآن) تبين كل ذلك . في

شرح الكافية : قد جاءه ذان وتان والذنان والثان في الأحوال الثلاثة

(٢) الجوزاء : برج في السماء سميت لأنها معترضة في جوز السماء أي

وسطها (التاج) الدهناء : الفلاة ، موضع تيم بنجد مسيرة ثلاثة أيام لا ماء فيه ، يد ويقصر في الشعر (التاج)

(٣) السمانين : عيد للنصارى قبل الفصح بأسبوع يخرجون فيه بصلبانهم (الفاموس) وهو : يوم السابغ في شعر النافقة :

• يميون بالريمعان يوم السابغ •

٢٥٥ - فأمرها قد مثلت في الضمير

ضرب :

وغادة قالت لأترابها : يا قوم ، ما أعجب هذا الضمير !
أبعشق الإنسان ما لا يرى ؟ فقلت - والسمع بعيني غزير - :
إن لم تكن عيني رأيت شخصها فإنها قد مثلت في الضمير !

٢٥٦ - لوراء ابن ليون لا يفهمه

كان ابن ليون التجيبي - وهو من شيوخ لسان الدين بن
الخطيب - مولماً باختصار الكتب ، وتأليفه تريد على المائة
ومما حكى عن بعض كبراء المغرب أنه رأى رجلاً طويلاً (١)
فقال لمن حضر : (لوراء ابن ليون لا يفهمه) إشارة إلى كثرة
اختصاره للكتب

٢٥٧ - فمرازال عليه أوبه طرب

مما يستحسن في وصف العمود قول ابن القاضي :

جاءت عمودٌ تناغيه ويسدها فانظر بدائع ماخصت به الشجر
غنت على عودها الأطياف مفعجة غصاً فلما ذوى غنى به البشر
فلا يزال عليه أو به طربٌ يهيجه الأعمجان : الطير والوتر

٢٥٨ - ونسبها له لم تكونوا صلحهم

في رسالة (أخلاق الكتاب) للجاحظ : حدثني عمر بن
سيف أنه حضر مجلس أبي عباد ثابت بن يحيى يوماً في منزله
وعنده جماعة من الكتاب فذكر ما هم عليه من ملائم (٢)
الأخلاق ، ووصف تقاطعهم عند الاحتياج ، وعدم تقاطعهم
عند الاختلال فقال :

معاشر الكتاب ، لا أعلم أهل صناعة أملاً لقلوب العامة
منكم ، ولا النعم على قوم أظهر منها عليكم . ثم إنكم في غاية
التقاطع عند الاحتياج ، وفي ذروة الزهد في التقاطع عند
الاختلال . وانه ليلفتني أن رجلاً من القصابين يكون في سوقه ،
فيتلف ما في يديه ، فيخلى له القصابون سوقهم يومه ويجمعون له
أرباحهم فيكون يربحها منفرداً ، وبالبيع منفرداً ، فيسدون بذلك
خلته ، ويجبرون منه كسره

سمعت يحيى بن سفيان يقول : رأيت بمصر جارية بيعت بألف دينار
فأرأيت وجهاً فظ أحسن من وجهها صلى الله عليها !
فقلت له : يا أبا زكريا ، مثلك يقول هذا مع ورعك وفقهك ؟
فقال : وما تنكر على من ذلك ؟ صلى الله عليها وعلى كل
مليح ! يا ابن أخي ، الصلاة رحمة

٢٥٢ - يحترس بها من الغيرة

في (الموشح) للمرزباني : قال احمد بن عبيد الله مما أنكر
على أبي المتاهية قوله لما ترقى في نسيه بمُتَبَّة :
إني أعوذ من التي شغفت مني الفؤاد - بآية الكرسي (١)
وآية الكرسي يهرب منها الشياطين ، ويُحترس بها من
الغيلان - كما روى عن ابن مسعود في ذلك - وأبو المتاهية
مع رقة طبعه ، وقرب متاوله ، وسهولة نظم المشور عليه ،
صرعته إلى ما يعجز الثاني بلوغه - لا يخلو من الخطأ الفاحش
والقول السخيف

٢٥٣ - لاؤه العناية من ثم

قال أبو بكر بن العربي في رحلته : كان بمدينة السلام إمام
من الصوفية يعرف بابن عطاء ، فتكلم يوماً على يوسف وأخباره
حتى ذكر تبرئته مما نسب إليه من مكروه . فقام رجل من آخر
مجلسه - وهو مشحون بالخليقة من كل طائفة - فقال :
يا شيخ ، بل سيدنا ، فأذن يوسف ثم ماتم
فقال : نعم لأن المتاهية من ثم
فانظر إلى حلوة العالم والتعلم ، وفطنة العاي في سؤاله ،
والعالم في اختصاره واستيفائه

٢٥٤ - ما زعزعتك

روى أن رجلاً من بيشار وهو مستلق على قفاه في دهليزه
كانه قيل (٢) ! فقال يا أبا معاذ إنك تقول :
إن في بردى جسماً ناحلاً لو توأمت عليه لانهدم
وإنك لو أرسل الله الريح التي أهلكت عاداً عليك ما زعزعتك

(١) شغف الحب فؤاده : علا وغلب عليه (الأساس)

(٢) في (الأغانى) : قالت امرأة لبشار ما أدرى لم يهابك الناس مع
فبح وجهك ، فقال لها : ليس من حسنة يهاب الأسد

(١) الطوال : بالشدائد المفرط الطول وجمعه طولون ، لا يكسر إلا
يجمع جمع السلامة
(٢) اللأمة : اللؤم

هكذا قال زرادشت

للفيلسوف الروماني فرديريك نيتشه

ترجمة الأستاذ فليكس فارس



المسافر :

وكان قد انتصف الليل عند ما توجه زارا إلى أكمة الجزيرة وهو يجرد في السير ليليلع الشاطئ الآخر عند بزوغ الفجر إذ كان يقصد الابحار من هذه الجهة حيث ترسو بعض المراكب لتقل طلاب المهاجرة من الجزر السعيدة

وتذكر زارا الرحلات التي قام بها منفرداً منذ صباه فمرت بمخيلته رسوم الجبال والتلال والندى التي تسلقها في حياته فقال : « ما أنا إلا رحالة ومتسلق مرتفعات ومانسهبويينى منبسطات الأرض ولا يستقر بي مقام . ومهما قُدر على ومهما وقع لي فلا تسدو الحوادث أن تكون في نظري رحلة واعتلاء . فما لي أن أرى من الآفاق إلا ما انطبع منها في نفسي . ولقد مضى الزمن الذي كان لي فيه أن أتوقع الحوادث من خطرات الحظ . وهل لي أن أنال من الدهر شيئاً لم يستقر في نفسي من قبل ؟

إن كل ما بطراً على بعد الآن إنما هو ذاتي العائدة تكراراً بعد انقراطها وتمازجها في الأشياء وتصاريف الزمان . غير أنني أصبحت الآن على مدرج آخر الندى أمام أصعب مسلك ما اقتحمت مثله في حياتي ، فأنا أبدأ الآن أشد رحلاتي عناء وأروعها وحشة وأنى لثلي أن يتجنب مثل هذه الساعة التي نهتف قائلة : إنك على مبدأ طريق المجد حيث تتداخل الندى في المهاوى . أنت تسير على هذه الطريق وكنت تراها قبلاً آخر ما تقتحم من أخطار فأصبحت لديك آخر ملجأ تهرع إليه

إنك تسير على طريق المجد فعليك أن تتذرع بالحزم الأوفى لتقطع بنفسك خط الرجوع على نفسك

إنك تسير على طريق المجد ، فأنت منفرد عليها لا يزحمك أحد من ورائك ، وقد تحت أقدامك آثار خطاك على ما وراءك من المسالك ، ولاحت كلمة المستحيل بعينيك على آفاق هذه الطريق ولا بد لك إذا ما خلت المدارج تحت أقدامك أن تتسلق قمة رأسك إذ لا سبيل لك للاعتلاء إلا إذا أجهت إليه وإلى ما وراءه وأنت تدوس على قلبك ، وهكذا سيفيك ما كان يحلو لديك

إن من أفرط في ادخار جهوده لا يلبث حتى يُبتلى بالحمول ، تبارك كل جهد يشد العزم ، فلا خير في أرض تدر اللبن والعسل ؛ ومن يطمح إلى الاحاطة بأمور كثيرة فليتدرب على إرسال أبصاره إلى ما وراء حدود ذاته . وعلى كل متسلق للندى أن يمزج بمثل هذا الحزم إذ لا يسع من يتحرى الأمور متجسماً بفضوله إلا الوقوف عند أسهل الأفكار مثالا . وأنت يا زارا تطمح إلى الاحاطة بالعلل وإلى نفوذ خفايا الأمور ، فعليك أن تحلق فوق ذاك فتجتازها متمالياً حتى ترى ما فيك من كواكب متصاغرة في كل أفق دون أفقك الرفيع

أجل إن ذروني إنما هي حيث أفق ناظراً إلى الأعماق فأرى فيها ذاتي وكواكبها ، تلك هي آخر هضبة أطمح إلى بلوغ قمها « بهذا كان يناجي زارا نفسه وهو يصعد المرتفع ممللاً بالتعاليم الصارمة ما في قلبه من جراح

وعند ما بلغ الندوة انبسط البحر أمام ناظره فوقف مبهوتاً واستغرق في صمت طويل ، وكانت السماء لا تزال تتألق بالنجوم والهواء يهب بارداً على الأكمة

وهتف زارا حزيناً : « لقد نينت ما قُدر على ، وهأنذا مستعد للاقدام فهذه آخر عزلة أقتحمها

سأحمد إليك أيها البحر المظلم النبسط عند أقدامي ، أنت الليالي المغممة بالأحزان ، أنت القضاء والقدر أيها الخضم البعيد إنني أقصد أرفع جبالى مقتحماً أبعد أسفاري فعلى إذا أن أهبط إلى مهاوى أبعد في أغوارها من كل ذروة رقيتها حتى الآن على أن أذهب من الأسمى إلى أغوار مارسبت في مثلها من

العلويون والتقمص

في أوقات مختلفة ، لكتاب مختلفين ، نشرت (الرسالة) مجلة الأدب الراقى والفن الرائع ، بعض الآراء عن بعض المعتقدات والمذاهب المتفرعة عن الإسلام بحسبها الأستاذ عنان على سبيل التاريخ ، وغيره على ضوء المعلومات الحديثة والاختبارات الشخصية

وقد أجمع الكتاب والناس على أن الدرور يؤمنون بالتقمص ؛ وقد كان إجماعهم في هذه المرة صادقا لا يلوئه شك . أما أنا فأقول إن العلويين « النصيرية » يؤمنون بالتقمص كإخوانهم الدرور . ولست أطلع بهذا النبأ طلوع من مجهول ، فلقد تحريت هذا الاعتقاد بنفسى بين إخواننا فألفيته موجوداً مستساغاً لا شك فيه ولا غبار عليه . وللعلميين في اعتقادهم هذا حكايات جميلة ، ونكت حلوة لا بأس إذا نقلنا « الرسالة » شيئاً منها

قال لى أحدهم : ألا تعتقد يا أخى بالتقمص وقد أوجسنا من دلائله ما حملنا على الإيمان به أشد الإيمان وأقواء ؟ قلت : ما هذه الدلائل ؟ قال : اسمع ، ولد في قرية (كذا) يقصد امرأة مات زوجها عنها ويدعى أنه تحول إليه ، يذكرها بعهود الصبا ، وبأيام قضاها وإياها ، ويحدثها بأسرارها الزوجية السالفة ، فتدهش لهذا وتمجب وتبه من مالها الكثير وتؤمن أنه رجلها الراحل . قلت : هذا لا يكفيني . قال : إن كان لا بد فدوتك :

لاشك أنك تعرف في القرية الأجير (فلانا) وقد تدرك احترام معلمه له ، وقد ترى حب أم معلمه له الحب الجلم ، وحياءها منه الحياء الكبير ، ولا بد أنك لحظت في كفه آثار طلق نارى يظهر لك عتيقاً . قلت : وما تعنى بهذا ؟ قال :

أما الأجير فإنه أب للمعلم ، وزوج لأمه ، وهو يما تبها لتزوجها بعد وفاته ، إنه كدأبوة الشقيقة بأثار الطلق وبحوادث وأعمال صدقتها بعض قدماء القرية ، وقد جرت بينهم وبين الراحل أمثالها ، ولو علمت أنه أتى عالم النور يوم مات أبو معلمه لصدقت بعض الشيء مما أقول ذاك ما روى الرجل أثبتته للتأكد من إيمانه بهذا المذهب ، وهذا ما حدث لى معه . وقد روى بعضهم أن اعتناق التقمص إنما يثير عدم مبالاة بالحياة ؛ وقد رأينا من العلويين الشيوخ شيئاً من هذا ، وقد رأينا من بعضهم شجاعة ربما كان من جملة بواعثها - غير طبيعتهم الجبلية في سوريا - اعتقادهم بمذهب التقمص .

حسن شيشكلي

حماة سوريا

قبل فاصل إلى قرارة ماني الأحران من ظلمات . ذلك ما قدر على فانا على أهبة لافتحاه

لقد تساءلت فيما مضى عن منشأ الجبال فدرت أخيراً أنها نهبت من البحار كما تشهد صخورها وجروف ذروتها ، فإيبلغ الأعلى مقامه إلا لانطلاقه من القمام الأدنى «

هكذا تكلم زارا وهو مائل على قمة الجبل تدور به لفحات الصقيع ، ولكنه ما بلغ الشاطيء ووقف بين تتوات صخوره حتى حل عليه التعب وترايدت أشواقه فقال :

« إن البحر هاجع أيضاً فينه الوسنى تحدجنى بلفحات غريبة وأنفاسه الحرى نهب علي . إنه مستغرق في أحلامه يتقلب مضطرباً على جافيات مسانده . إننى أستمع لهديره كأنه يئن تتدكرات مفاجات ، وقد يكون هذا الهدير نذيراً بالشؤم في آتى الزمان

إننى أشاطرك الأسى أيها المدى المظلم الوسيح ، فانا بسبيك ناغم على نفسى أغمى لو طالت يدي فأنتدك من أصفاد أحلامك «

واقبه زارا فإذا هو يضحك ساخرأ من ذاته فتمرر وتساءل عما إذا كان سيبلغ به حماسه إلى اطلاق انشاده لتعزية البحار ، وعما إذا كان سيستمر مضعضاً في سكرة غرامه واستسلامه فقال :

« لقد عرفتك في كل زمان يازارا تتقحم الأمور الخطيرة بلا كلفة وبلا مبالاة ، وقد رأيتك طوال حياتك تدغدغ الوحوش المفترسة فكان يكفينك منها أن تهتاج جبك بأنفاسها الحرى وبنعومة مخالها لتجتذبك إليها

ليس من خطر أعظم من الحب يمدق بالمستغرق في عزله فإن المنفرد يحب كل شيء يتسم فيه الحياة ؛ وما أعجب جنونى بالحب وتساهلى فيه «

هكذا تكلم زارا وقد عاد إلى الهزء بنفسه ؛ غير أنه تذكر من هجر من خلانه تخيل إليه أنه يسى إليهم بتفكيره فيهم ، فنقم على نفسه وأقلب من ضحكه إلى البكاء فسالت دموعه مريرة يمازج فيها الغضب والشوق

فليكس فارس



رِسَالَةُ الشَّعْرِ



الشعر

للأستاذ فخري أبو السعود

ألا يا صدى للنفس قد بات حاكياً وترجم عنها شجوها والأمانيا
تبوح بذكراها وتحكي شعورها وتروي رؤاها صادقاً والمانيا
وتكشف من أسرارها كل مبهم خبيراً بأغوار السريرة داريا
لأنت نديم النفس في صيواتها وإن عنّ خطب كنت أنت الموسيا
ولها منك في الأشجان يا شعرُ مفزَعُ وأنت قرين اليأس والمجد والعليا
تدافعُ عنها اليأس بالبشرِ ما حيا ولم تلهي العلياً وتوحى التاميا
وأنت ألقاظُ تُصاغ لباقة وما أنت ألقاظُ تُصاغ لباقة
ولكن شعورُ النفس قد فاض طاميا وإذا حسبته غيضَ جرّ جرّ داويا
معيّنُ بنفس المرء يجرى ترقُّقاً فأقبل دقاًقاً يلبى المناديا
أهَابَ به من حادث الدهر نازلُ غدوتُ له في صفحة الكون تاليا
وما كنت يوماً ناظمَ الشعرِ إنما تلى صفحةً أتلوه للناس راويا
أقلب من ديوان ذا الكون صفحةً وكم بات تلوها عظاماً بواليا
صحائفُ ما تبلى على الدهر جِدَّةً وصورتُ منه في التصيد مجاليا
صحائفُ حسنٍ قد عبت صفاته وأيامَ حسنٍ قد مضت وإياليا
وأودعته آمالَ أمسٍ وهمه كأني أحياء ذلك العهد ثانيا
إذا رُحْتُ أتلوما خططُ رأيتني وما العيش إلا أن تَرَى فتنة الوري
وما العيش إلا أن تَرَى فتنة الوري وتودعها من بعد ذلك القوافيا

فلا عشتُ إلا ناظراً متملياً أهذبُ شعراً يعرضُ الكونَ حاليا
أهدبُ شعراً يعرضُ الكونَ حاليا يصورُ حسنَ الأفقِ بالشمسِ سافراً
ويرسم سحر البدر يشقى الدياجيا وأقدام طود حنفاً للروح غاسلاً
وهامات هضب لفتها النيم كاسيا ويحكي ائتلاف النور والظل والشذا
ويحكي خفوق الفصن بالغيث ناديا ويحكي خريز النهر يجرى مُسلسلاً
والحان طير بات في الفصن شاديا وأميرُ الفنونِ الشعرُ جَمَّ شملها
وأترعَ منهنّ النفوس الصواديا ورؤى كلِّ عينٍ ناقشاً ومصوراً
وكلِّ سماعٍ شادياً ومناجيا وفيه مجالٌ للخيال وملعب
به الفكرُ يدنى كلِّ ما كان ثانياً ويمضي مع الأحلام في كل مذهب
وترى به شتى الطيوف الراميا ويخلق منها عالماً بعد عالم
ويدفعه حبُّ البعيد فينتنى مع الريح يمضي أو إلى النجم راقيا
ويمرحُ في طلق السموات ساريا ويسرُّ محجوباً من الغيب آتيا
على وزده الأجيالُ شتى تواليا ويجمع أطراف الحياة وتلتقى
فخرى أبو السعود

فَا لَكَ لَا تُبَيِّنِي إِذَا مَا الطُّهُرُ لِيَانِي !؟

تَعَالَى ! بَدَّدِي شَجْوِي تَعَالَى ! جَدِّدِي قَلْبِي
فَا يَهْنِكِ أَنْ أَحْيَا عَلَى الدُّنْيَا بِلَا حُبِّ !
وَأَنْ تَبْقَى مَعِي نَفْسِي بِلَا إِلْفٍ يُوَافِقُهَا !
وَتَحْيَا مَا تَرَى فِي النَّاسِ مِنْ إِنْسَانًا يُوَاسِعُهَا !
دَعِينِي بِالهُوَى أَشَدُّ إِلَى أَنْ يَنْقَضِيَ نَحْيِي ...
لَأَمْضِي غَيْرَ مَحْزُونٍ عَلَى الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا !

أَرَادَ الْحَسَنُ يَا قَلْبِي لَنَا أَنْ نَشَقَّ الدُّنْيَا !
وَشَاءَ اللَّهُ إِذْ أَوْحَى إِلَيْنَا الشُّوقَ أَنْ نَحْيَا !!
أَخَذْنَا الْحَبَّ وَالنَّجْوَى عَنِ الْأَطْيَارِ تَلْقِينَا ...
وَتَامَتْنَا رُؤْيَى الدُّنْيَا فَكَادَ التَّحِيحُ يُضَيِّنُنَا !!
فَوَادِي ! قَدْ طَوَى هَذَا الْهُوَى عَنَّا الْأَسَى طَيًّا
فَأَنْشُدُ رُوحِي الْكَرَى نَشِيدًا لِلْحَيَاتِنَا !!

أخبار أبي تمام

تأليف أبي بكر محمد بن يحيى الصولي

أحدث مطبوعات لجنة التأليف والترجمة والنشر . طبعة
أنيقة . تحقيق دقيق . فهرس وافية . طريقة الطبع مستحدثة ،
مظهر من مظاهر التعاون الأدبي بين مصر والهند ، اختارته
كلية الآداب لدراسته لطلبة الامتياز

نشره وحققه وعلق عليه الأساندة

مهذب محمود عساكر ، محمد عبده عزائم ، نظير الاسومم الهندي
قال فيه العلامة الجليل الأستاذ أحمد أمين : « ... وهو عمل
مجهد حقاً يستحق كل تقدير وثناء ويصح أن يتخذ مثلاً
للناشر وقدوة لمن أراد أن يخدم كتاباً قديماً »

صفحاته ٣٤٠ من القطع الكبير ثمنه ١٨ قرشاً عدا أجرة البريد
يباع في لجنة التأليف والترجمة والنشر ٩ شارع الكرداسي
ببازين وفي المكاتب الشهيرة

تعالى ... !

للأديب محمود السيد شعبان

الَّتِي نَشْرَبُ الْكَأْسَ الَّتِي عَتَقَهَا الرَّبُّ ... !
خَلَاهَا لَكِنِّي بَصَبُو إِلَيْهَا التَّنَرُ وَالْقَلْبُ
كُؤُوسٌ لَمْ تَحْرَمْهَا دِيَانَاتٌ وَلَا رُسُلُ !
أَطَاشَ الْحَبَا يَوْمًا قِيمَهَا اللَّبُّ وَالْعَقْلُ !!
بِهَا السَّحْرُ وَالْإِلَهَا مُ وَالنَّشْوَةُ وَالْحُبُّ !
الَّتِي ... ! مَا لَنَا نَشَقُّ فِي إِكْبَانِنَا الْوَصْلُ ؟

إِنَّكَ أَنْتِ فِي فِكْرِي أَحْيَى فِيهِ أَحْلَامِي ..
لِي ! لَا يُرْوَعُكَ إِلَّا أَسَى يَا بِنْتَ أَوْهَامِي !
عَشَقْتُ السَّحْرَ وَالْأَحْلَامَ وَالنَّشْوَةَ الَّتِي فِيكَ !!
وَمَا زَالَ الْهُوَى بِالسَّحْرِ وَالْأَحْلَامِ يَهْنِكُ !
تَعَالَى ! إِنِّي صَدِيكٌ فِي بَيْدَاءِ أَيَّامِي
وَتَعْرِى ظَلْمِي يَا لَيْسَتِي أَرْوِيهِ مِنْ فِيكَ !!

تَعَالَى أَدْفِي صَدْرِي وَمَا يَجْرِي بِأَنْفَاسِكَ !
تَعَالَى زَاوِجِي مَا بَيْنَ إِحْسَاسِي وَإِحْسَانِكَ
تَعَالَى يَا أَبْنَةَ الْآمَةِ لَمْ تَقْضِ الْعَمْرَ لَاهِينًا !!
وَهِيَ نَقَضِ الْأَشْجَابِ نَ يَوْمًا مِنْ أَيَادِينَا
وَصَبِي النُّورِ فِي كَأْسِي وَصَبِي الْوَجْدِ فِي كَأْسِكَ !
وَبُنَى رَائِعَ الْأَحْلَامِ مَرِحِينًا فِي أَمَانِينَا ...

تَعَالَى ! رَافِقِي ذَاتِي تَعَالَى ! غَازِلِي حَيَّتِي ... !
تَعَالَى ! أَسْفِكَ الْأَشْرَارَ مِنْ دُونِي وَمِنْ كَأْسِي !
فَا فِي الْوَحْدَةِ الْخُرْسَاءِ مَا تَهْوَاهُ الْخَلْبَانِي
وَهَذَا الصَّمْتُ لَا يَرْضَى لِي حَيِّي وَتَحْنَانِي
أُرِيدُكَ كَمَا أَجَاهِدُ فِيكَ عَنْ طَوْعِي هُوَى نَفْسِي !



الفن الهندي

للدكتور احمد موسى

العمارة

— ٢ —



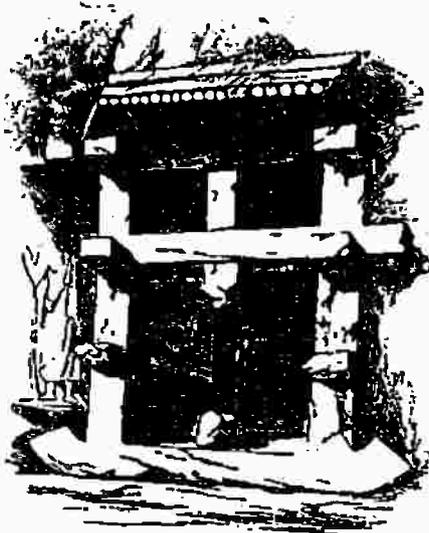
قلنا إن من أهم النماذج الفذة للعمارة الهندية مجموعة معابد إيللورا الصخرية ، لأنها شاملة لكلا الطرازين البوذي والبراهمي ومبنية على سفح الجبل الجرايتي ؛ فضلاً عن كونها جميلة التكوين رائعة النقوش والزخارف . وأهم هذه المجموعة مما يمكننا تناوله بشيء من التنويه هنا معبد كايلاسا الذي نحت في الصخر ثم فصل منه فأصبح كأنه قائم بذاته ، ويبلغ ارتفاعه ثلاثين متراً ، وصحنه مقسم إلى خمسة أجنحة فصلت عن بعضها بقوائم ، وحوائطه الخارجية مليئة بالنحوتات التمثيلية بلغت كلها غاية الدقة ؛ وعلى المدخل يوجد فيلان كبيران على اليمين واليسار ؛ وهذا يذكرنا مع الفارق بما كنا نراه على مدخل المعابد المصرية كالستين اللتين اعتاد المصريون إقامتهما عند مداخل معظم معابدهم

وأعقب ذلك اتجاه الفن البنائي الهندي اتجاهاً جديداً في مرحلة أسماها مؤرخو الفن للرحلة البراهمية الحديثة ، وأهم معابدها التي ساروا في تشييدها على نمط الطراز البوذي ، لا من النحت في الصخر فقط ، بل أيضاً من حيث الوضع التكويني والإنشائي بالذات ، فضلاً عن تشييدهم المعابد قائمة بنفسها . أما من حيث الطراز الفني فقد اختلف الإجراء والاتجاه في شمال الهند عنه في جنوبها ، وهذا مقبول بالنظر إلى بعد الشقة بين الشمال والجنوب

وكانت صفة معابد الشمال أنها أقيمت مكعبة الشكل في مجموعته التكويني ، قد توسطها صحن مربع أو ما يقرب من هذا الشكل وتعلوه قبة مربعة الجوانب السفلى الملاصقة للحوائط ومنتهية في آخرها بالتقاء الخطوط الزاوية ، فكانت بذلك أشبه بهرم مقوس الأضلاع

وقبل الوصول إلى الصحن والقرب من المدخل عملت رده تؤدي إليه على نفس الطراز . أما المظهر الخارجي العام للمعبد فكان كثير التعاريف والأضلاع المتشعبة وواجهاته منقطة بالتماثيل وكأني من الحجر الرمل . ويوجد كثير من طراز هذه المعابد في مقاطعة أوريسا في الشمال الشرقي

وقد توسعوا في التصميم الكلي للمعبد بإضافة مباني ملحقة به ، لها قباب ينطبق عليها الوصف السابق ؛ وأقيمت المعابد على هذا النحو في مقاطعة راجا أو راجيونانا

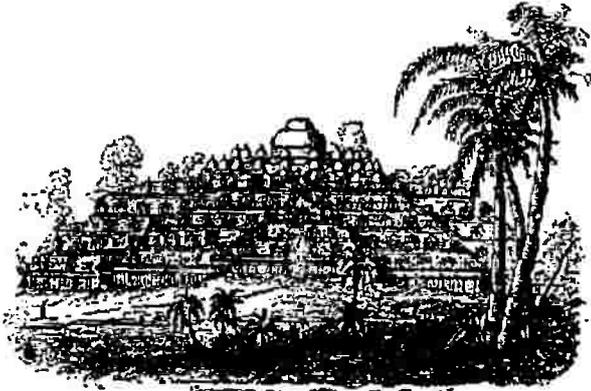


١ — مقبرة مير الصخرية

وخير الأمثلة التي يمكنني أن أسوقها مما يستحق الإعجاب

أما المعابد الجنوبية فأبرزها دون نزاع مجموعة أسموها بالاجودا وهي عبارة عن مجموعة مبان متجاورة أحيطت بأربعة حوائط من جهاتها الأربع ، وفي واحدة منها وجد المدخل (جورورا) يتكون من ذى طراز أعوذجي للفن الهندي أسفله بناء مربع وأعله سقف على هيئة هرم مدرج ناقص ، أى أن قاعدته العليا مسطحة وقد بلغت درجاته الخمس عشرة . وفي داخل البناء ردهات وصلات ذات أعمدة خصص بعضها للحجاج (تسولتري) ، ولم يختلف المكان القدس (ثيمينا) في شكله الكلى عن النمط الذى ساروا عليه في إنشاء المدخل إلا أنه مربع الأرضية

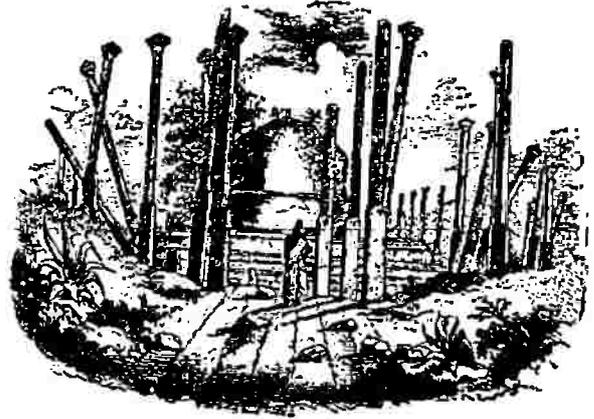
وعلى ذلك تميزت المعابد الجنوبية عن الشمالية بهرمها المدرج وصلاتها وردهاتها ذات الأعمدة ومبانيها التى عملت من الآجر .



٤ - معبد بورو بودر

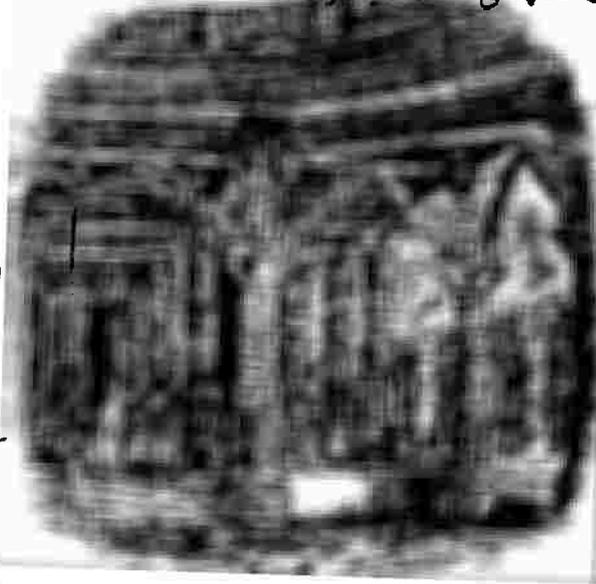
ولعلنا نسجل هنا أهم ما أقيم في المرحلة الزمنية للتحصرة بين القرن العاشر والقرن السابع عشر من روائع هذا الطراز ، فاجودا تانجورا بمدخلها البالغ طوله ٦١ متراً وياجودا سريفينجام وطول واجهتها كيلو متر تقريباً ، وياجودا شيللا بروم ومادورا كل هذه تجل عن الوصف ، ولا تدع مجالاً للشك بأن الفن الهندي - وإن كان الدرس المفصل به عسيراً بالنظر إلى الأطراف النائية لهذه البلاد - من أهم الفنون الشرقية التى يجب علينا العناية بها وإلفات النظر إلى ما فيها من جمال وروعة

كثيراً معابد كاجوراو وتبلغ الأربعين عدداً معظمها راجع إلى القرن العاشر بعد المسيح ، وهي تعتبر بحق المثل الفنية للمعارة الهندية إجمالاً ، وتبلغ مساحة المعبد الواحد مساحة كتدرائية مسيحية ، ولم يتركوا أى معبد دون شحنه بالزخارف والنحوتات على واجهاته وبداخله



٢ - داجوب توبارامايا

وتعتبر مجموعة معابد دجانيا (طريقة دينية معينة) من الدرجة الأولى في الفن الهندي . منها معبدات قائمان على قمة جبل أبو (ش ٣) يرجع تاريخهما إلى القرنين الحادى عشر والثانى عشر وهما مبنيان من الرخام الأبيض الناصع ، ومحيط بالصحن ستون حقلًا حلت سقفها على أعمدة عديدة قائمة





ترجمة هديره لجاره هالك روسو

كُتبت حياة جان جاك روسو فيلسوف النفس والطبيعة مراراً وتكراراً؛ وحتى لم تحرم العربية من ترجمة روسو وتحليل نظرياته وكتبه بقلم الدكتور هيكل بك، ولكن الباحث في حياة روسو يجد فيها دائماً من الجديد والطريف ما يشجع على استعراضها وتصويرها. وقد صدر أخيراً بالألمانية كتاب جديد عن حياة روسو عنوانه «الأحلام والدموع» Traume und Traenen بقلم الكاتب النموي هانز بوليوس فيلي H. J. Wille تناول فيه حياة المفكر من ناحية جديدة هي ناحية العاطفة والشاعر؛ وربما كانت هذه الناحية من حياة روسو هي أخصب وأدق ناحية في شخصية ذلك الذي أراد أن يصوغ الحياة طبقاً للعاطفة والمشاعر الانسانية. والواقع أنك إذا حاولت أن تحكم على شخصية روسو من أعماله وحوادث حياته فقط، فإن مثل هذا الحكم لا يمكن أن يتفق مع خلال هذه المبقرية العظيمة، بل يتناقض مع كل ما فيها من الاضطراب والسمو؛ وإذا كان روسو هو ذلك الروح المضطرب الذي يرتفع بالفكرة الانسانية إلى أسمى مواطنها، وإذا كان هو مؤسس المذهب «الرومانتيكي» وإذا كان قد نفذ بتأثيره الساحر إلى عبقريات مثل جيته وشرل، فإن في جوانب حياته الخاصة ما يلقى حجاباً على عبقريته وسمو خلاله، فهو، وهو النهر الحر، يأبى مدى ثلاثة وعشرين عاماً أن يسبغ على شريكه وأخلص النساء إليه - تيريز ليفاسير - شرف الزوجية، ويقول لنا إنه تزوجها دون رغبة ودون إرادة؛ وهو المؤسس لمذهب جديد من التربية، رغم زوجته على أن تبث بأولادها المحبة إلى ملجأ اللقطة؛ وهو رجل النفس والعاطفة يظاً يقدمه أقدس وأعمق عواطف زوجته، وهو في جميع أعماله وتصرفاته يتم عن أثر عميقة لا تتفق في شيء مع النظريات الانسانية والأخلاقية السامية التي يشرها في كتبه؛ على أن مواطن الضعف الشخصي والشهوات الشخصية لا يمكن أن تكون مقياساً للحكم على

عبقرية ما من نواحيها العامة، وقد كان روسو عبقرية لا شك في عظمتها، فيجب أن يحكم عليه من هذه الناحية العامة ليس غير هذه الصور كلها يقدمها النا بوليوس فيلي بقوة وإفاضة، ويقف بنا طويلاً عند حياة تيريز وشخصيتها الساذجة، إلى جانب حياة المفكر الأثرية، وهو يرى في تيريز شخصية انسانية تحمل على الاحترام والعطف، ويرى أنها كانت مثلاً للتضحية، وهو على العموم يصور لنا روسو رجل النفس والعاطفة قبل كل شيء.

على مثال نوبل

رفع ألفرد نوبل المتري العظيم، بهيته الطائفة التي رصدت جوائز لأقطاب التفكير والسلام في أنحاء العالم، اسم أمته - السويد - إلى السماكين؛ وفي كل عام توزع جوائز نوبل العظيمة إلى مستحقها بين آيات التقدير والاعجاب للمحسن العظيم. واليوم يتقدم متر سويدي آخر هو المالى الكبير اكسل فترجرين، ويقف من ثروته الطائفة مبلغ ثلاثين مليوناً من الكرونات على الأعمال والمباحث العلمية، والجهود العظيمة التي تنفذ الانسانية كلها بوجه عام. وقد نظمت هذه الهبة العلمية على مثل هبة كارينجي المشهورة، وسيبدأ تنفيذ ما فيها في حياة الواهب على يد مجلس مؤلف من الواهب وزوجته وخمسة آخرين من بين رجالات السويد المشهورين. وقد استطاع المحسن الجديد أن يحرز ثروته الطائفة كسلفه العظيم نوبل من بعض المخترعات الصناعية. وهو يبنى عناية خاصة بالمشاريع العلمية والفكرية؛ وقد اشترى أخيراً الجريدة السويدية المشهورة «نايادا جلجت الهاندا»، ووقفها للدعوة إلى التفكير المستقل وإلى معاونة الحركة الفكرية وتشجيعها

وهكذا تنافس السويد أميركا في رصد الهبات العلمية، وتحرز من هذه الناحية ظفراً بمد ظفر؛ وسيكون لهبة فترجرين من الأثر العموي العظيم لهبة سلفه نوبل؛ وستكون دعامة جديدة في صرح التقدم العلمى والانسانى

اهيأ النحو لدراسهم مصطفى

جاء في مجلة الآداب الشرقية التي تصدر بالألمانية عن هذا الكتاب بقلم طاهر خميري ما يأتي : —
الكتاب يقتصر على معالجة إعراب الاسم في العربية جاعلاً هدفه إبدال القواعد الكثيرة المبنية على نظرية العامل بأخرى أقل منها عدداً وتقوم على أساس من طبيعة اللغة (ص ١٩٥) والمؤلف إذا أغضينا عن استثناء واحد (ص ٤٣) يستعين بمصادر عربية فقط

وأساس الفكرة أن الضمة علم السند إليه والكسرة علم الإضافة بينما الفتحة لا تدل على شيء بل الحركة الخفيفة التي تهرع إليها اللثة مادام الأمر لا يدور حول إسناد أو إضافة (ص ٥٠). أما تفاصيل هذه النظرية فيناقشها المؤلف في صورة واضحة ملازمة وإن لم تكن كل أجزائها في نسق واحد من الاقتناع

فالمؤلف مثلاً — على حق كل الحق إذ يتخذ من إغفال علامة النصب في كل من جمي الذكر والمؤنث السالمين (ص ١١١) مؤيداً لنظريته السالفة وإن كان الطريق مقترحاً أمام احتمالات أخرى ؛ ولكن ليس كذلك حكمه بأن اسم إن كان يبنى له حقاً أن يرفع لولا أن النحاة ضلوا في هذه النقطة (ص ٦٤) ، هذا الحكم الذي يبنيه على مستثنيات قليلة يحوم حولها الريب وعلى نظائر لاصلة لها بما نحن فيه

كذلك كان المنتظر أن كل بحث حول علامة النصب يتخذ له من المفعول به نقطة ارتكاز ولكن مما يلفت النظر أن المؤلف أعرض عن ذلك إعرافاً تاماً

ومما يدعو إلى السرور أن باب الاجتهاد في النحو العربي قد فتح أخيراً على يد مؤلف عكف على موضوعه سبع سنين صدق فيها الاعتكاف (أنظر المقدمة) بمجدوه الأمل في أن يشيد بناء النحو العربي من جديد، ولهذا لا يسعنا إلا أن نتجه إليه شاكرين هذا ولما كان المؤلف يعترم إخراج جزء آخر في الفعل وقد أكد هذا العزم فصرح بأن عنده مبادئه ومخططاته كاملة ، كان لنا الألسد الطريق أمام كلمة أخيرة

وإنه لمن الضروري الذي لا مفر منه في عمل من هذا القبيل ألا يغفل عن متابعة الخطوات الأخيرة في مباحث علم اللغة العام فان هذا — مثلاً — كان حرياً بلاشك أن يحفظ من زلل كثير في استنباط نتائج قد يؤدي إليها كون تغير المعنى بمساعدة الحركات من خصائص اللغة العربية (ص ٤٥) اه

عقد مؤتمر عالمي في القاهرة للبحث في مسائل الشريعة الإسلامية

كانت الجامعة الأزهرية قد اشتركت في مؤتمر تاريخ الأديان الذي عقد أخيراً في مدينة لاهاي ، وقد رفع مندوبون الأزهريون إلى فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر تقريراً ضافياً ضمنوه المناقشات والقرارات التي اتخذها المؤتمرين فيما يتعلق بالبحوث الإسلامية التي تقدمت إلى المؤتمر

وقد عنى فضيلة الأستاذ الأكبر بدراسة هذا التقرير ، واجتمع مراراً بمحضرات الندويين الأزهريين وكان معهم الأستاذ عبد الرازق السنهوري بك عميد كلية الحقوق ومندوب الجامعة المصرية في هذا المؤتمر . وعلى أثر هذه الاجتماعات اتصل فضيلة الأستاذ الأكبر بالدوائر الرسمية المختصة وتحدث معها فيما كسبت من النتائج العملية في هذا المؤتمر وما أفادته الجامعتان المصرية والأزهرية من الاشتراك فيه .

وقد علمنا أن الآراء انتهت إلى أن في الشريعة الإسلامية من مسائل التشريع الجنائي والمدني والتجاري ما يصح أن يؤلف قواعد ذات صبغة قانونية يمكن الأخذ بها في مختلف التشريعات الحديثة كالوقف والوصية والميراث وشروط البيع والشراء والإيجار إلى غير ذلك من مختلف المسائل الشرعية ذات الصفة العامة

ثم رؤي أن كثيراً من التشريعات الحديثة اقتبست أحكام بعض هذه المسائل وجعلتها جزءاً من القانون العام ، وأن من الإيناف أن نسمع آراء علماء القانون في هذه المسائل حتى يمكن تمحيصها وتكون ملائمة لروح هذا العصر

لذلك استقرت الآراء على عقد مؤتمر عام في مدينة القاهرة يدعى إليه مندوبو الجامعات والهيئات العلمية في العالم لترض عليه هذه المسائل للبحث فيها ولتقرير صلاحيتها لتكون أساساً ومصدراً في التشريع الحديث

وقد تقرر أن تقوم مشيخة الأزهر بالاشتراك مع الجامعة المصرية بالدعوة إلى هذا المؤتمر ، وسجرت بحوث في كيفية تأليف اللجنة التحضيرية التي تبحث هذا الموضوع ويحدد الموضوعات الإسلامية التي تعرض على المؤتمر وتعين الزمان والمكان لانعقاده . وقد انتهت هذه البحوث إلى أن تؤلف هذه اللجنة من بعض علماء الأزهر وبعض رجال القضاء الشرعي ورجال القانون وستنظم هذه لدعوة جميع البلدان الإسلامية

تعديل التقويم الغريغوري

طلبت سكرتيرية لجنة المواصلات في عصبة الأمم إلى الحكومة المصرية موافقتها برأيها فيما يتعلق بالتقويم الغريغوري واقترح تعديله وقد رأت وزارة المعارف أن تساهم في هذا الأمر مساهمة جدية فأحيل الموضوع إلى أحد كبار موظفيها المبرزين في المسائل التاريخية لبحثه ووضع تقرير عنه

ونذكر في هذا اللقاع أن في أوروبا وأمريكا هيئتين علميتين تسميان لتعديل التقويم الجريجوري وتبذلان الجهد لدى لجنة المواصلات والروور بالمصبة لتحقيق أغراضهما وغاياتهما . وقد رأت هذه اللجنة أن الموضوع خطير لاتصاله بحياة الشعوب والأفراد جميعاً ، فوجهت الدعوة إلى الأمم المثلة في العصبة وغير المثلة ، فتألفت من مختلف الممالك والأقطار هيئات علمية ولجان أهلية لدراسة هذا الموضوع واقترح الوسائل التي يمكن أن ينفذ بمقتضاها ؛ حتى إذا ما استجتمت اللجنة الآراء والمقترحات في أنحاء العالم ، تقدمت إلى العصبة لدراسة الموضوع جملة في اجتماعها وقد تلخصت لجنة المواصلات الفكرتين الأوليين اللتين تشير بهما هاتان الهيئتان العلميتان في أوروبا وأمريكا

فالاقتراح الأول يرمي إلى جعل عدد شهور السنة ١٢ شهراً يوماً واحداً في السنين البسيطة ويومين في السنين الكبيسة . وأن يسمى اليوم الأول « يوم السنة » ويكون عقب شهر ديسمبر ، ثم يسمى اليوم الثاني « اليوم الكبيس » ويكون عقب شهر يونيو ومن خصائص هذا الاقتراح أن يجعل الشهر ٣١ يوماً ليناير وأبريل ويوليو وأكتوبر ، و٣٠ يوماً في الشهور الأخرى . وبذلك يكون مجموع شهور السنة الاثني عشر هو ٣٦٤ يوماً . ومن مزاياه أيضاً أن تبدأ السنة دائماً بيوم « أحد » وأن تبدأ شهور يناير وأبريل ويوليو وأكتوبر بيوم « الأحد » ، وشهور فبراير ومايو وأغسطس ونوفمبر دائماً بيوم « الأربعاء » ، وشهور مارس ويونيو وسبتمبر وديسمبر بيوم « جمعة »

أما الاقتراح الثاني فيرمي إلى جعل السنة ١٣ شهراً وأن يكون عدد أيام الشهر ٢٨ يوماً ، على أن يضم إليها يوم واحد في السنين البسيطة وفق الاقتراح المتقدم . أما الشهر الثالث عشر فيكون موقعه عقب شهر يونيو ويسمى « الشهر الوحيد » ومن مزاياه هذا الاقتراح أن يجعل الشهور متساوية في عدد

الأيام والأسابيع وأن يجعلها جميعاً مبتدئة بيوم واحد هو يوم « الأحد » . ويذهب أصحاب هذا الاقتراح إلى أن فوائده كثيرة متعددة من النواحي الزراعية والمالية والاقتصادية والحسابية والتعليمية وهي تلخص فيما يلي :

١ - جعل كل شهور السنة متساوية الأيام ، ويجعل الأيام ثابتة لا تتغير ، وبهذا يمكن معرفة تاريخ أي يوم إذا عرف موضعه في أي أسبوع من أسابيع الشهر ، وكذلك يمكن معرفة اسم اليوم إذا عرف تاريخه

٢ - توحيد الأيام ، فيسهل تنظيم الأعمال الخاصة والعامة ، كصرف الأجور ومعرفة أيام الأسواق والمواسم والأعياد والأجازات وافتتاح الدراسة وانتهائها . الخ

٣ - تقسيم الشهر إلى أربعة أسابيع متساوية ، فيسهل تطابق الحسابات الأسبوعية والحسابات الشهرية ، ويرتفع الخطأ الذي ينشأ عادة من اختلاف الشهر وأسابيعه

٤ - تسهيل مقارنة الإيراد والنصرف في كل شهر في الشئون التجارية والمالية والمنزلية

٥ - لما كانت أجزاء الأسابيع ثلثي وفق هذا النظام ، فإنه يسهل وضع الاحصاءات ، إذ يعطى مقياساً ثابتاً للإيرادات الحكومية وصادراتها ووارداتها

هذا هو تلخيص الاقتراحين . وستبدأ الوزارة في دراستهما ولما كان هذا الموضوع لا يعني الحكومات وحدها ، بل يتصل بحياة الهيئات والجماعات والأفراد فإن الوزارة تحب بكل ما يندى من الرأي في هذا الموضوع

إلى صديقى الأستاذ على الظنطاوى

تعب نفسك يا صديقي وتعب المنطق معك إذا حاولت أن تجادل من يفهم أن ما ينشر في (الرسالة) بغير إمضاء يجب أن يكون لرئيس تحريرها ، ثم يعين الاسم على هذا الفهم ، ويقم المناقشة على هذا الأساس . ومن بدائه الصحافة كما تعلم أن ما ينشر في الصحيفة من غير إمضاء إنما ينسب إليها لا إلى شخص بعينه ؛ ورئيس التحرير مسئول ، ولكن مسئوليته ليس معناها في اللغة ولا في الاصطلاح أنه يكتب مالا يعنيه غيره . فأعف قلبك يا صديق من مثل هذا الجدل ، وأجره بما عودت قراءك المعجبين بك من ملهمات الحق والخير والجمال الزيات



من أساطير الاغربيين

— ولم لا أذهب إلى الهند لأرى أبي؟ من لي الطريق بحق
الآلهة عليك يا أماء

يوم قيامة... أوطيش فيتون للأستاذ دريني خشبة

عاد الفتى الساذج فيتون إلى أمه الحسنة الهيفاء كليمين ،
بميتين مفرورتين ، ونفس مكومة ، وفؤاد خافق متصدع ، فجرى
بينهما هذا الحديث :

— مالك يا حبيبي ! لماذا تبكي ؟

— ... ؟ ...

— لا . لا . لا ... فيتون يبكي ؟ هذا عجيب ! أليكون أبوك
أبوللو وتبكي؟! .

— أبوللو أبي؟ كذب ، كذب !

— كذب؟ وكيف يافيتون ! أمك كذابة؟

— لا . لا . عفواً يا أماء ! أنت لا تكذبين ، ولكن ربنا

يكون كلامك سخرية بي !

— ولم أسخر بك يا بني ؟

— الأولاد في المدرسة يمزونني في أبي ، وكلنا حلفت لهم

أن أبي أبوللو نضحكوا !

— دعهم يضحكوا يافيتون . ماذا يضربك ؟

— يضربني أنني لم يعد لي وجه أريق مائه بينهم ، لا بد إذا

كان أبوللو أبي أن ألقاه

— تلقى أبوللو ؟

— ولم لا؟ أليس كل الأبناء يلقون آباءهم؟ فلم لا ألقى أبي؟

— أنا بدع من الناس؟

— لست بدعا ، ولكن أبوللو في بلاد بعيدة ... إنه في الهند !

— إذهب إلى الأرض التي تشرق من أقمهاذ كاه . فهناك ترى أباك
وذهب إلى الهند التي تقع في مشرق الشمس مباشرة ؛ وكان
عند شاطئ المحيط قصر باذخ منيف ، لا يبلغ البصر مداه ، ولا
يدرك الطرف أوله ولا آخره ... وكان مع ذلك قائماً على عماد
رفيعة من ذهب ركبت فيها ماسات كبيرة ذات سناء وذات
لآلاء . وكان سقفه العظيم المطعم بالمعج المصقول يلمع ، ويكاد سناه
يذهب بالأبصار ؛ أما أبوابه فصيفت من الفضة الخالصة وتقتت
فيها أبهى الرسوم ؛ وافتت فلكان فصور فوق الجدران بالرسم
البارز الأرض والبحر والسماء بما فيها من قطآن ؛ فأقام في
الأرض غابها وأدغالها ومدنها وأنهاها وجبالها ووديانها ... حتى
آلهتها . وأبرز في البحر عرائسه المائسات اللقائات ، فجعل منهن
سابعات يتوائن فوق الموج ، وجالسات على النوي يمشطن
شعورهن الداكنة التي تحكي خضرة البحر ، وراكبات على
ظهور السمك وحيوان الماء يتلاعبن ويتضاحكن ... وجعلهن ذوات
صور متشابهات وغير متشابهات ، دليلاً على حذقه وجليل قدرته؛
وجعل فوق هذا كله صورة السماء بكل بروجها الاثني عشر ، بحيث
جمل منها ستة إلى اليمين ، ومثلها إلى اليسار ... خَلَقَ فلكان ،
ومن أحسن من فلكان خلقاً^(١)!

وهكذا كان قصر الشمس آية من آيات الفن عجيباً ، ومع هذه
الآبهة البالغة والمظلمة الأخاذة ، فقد تقدم فيتون غير هيب ،
ودخل في غير وجل ، وكان يلمح اللوحة من الرسوم الجميلة
والتصاوير الساحرة ، ثم يسلك في سبيله قدما حتى كان في البهو
الأعظم الذي يستوى في صدره أبوه ، على عرش ممرد ناصع ،
تنعكس منه أضواء لامعة خاطفة ، تهر النظر ، وتُخَسِّي الأبصار .
وسار الفتى مسافة قليلة ، ثم وقف مكانه عَشِيّاً من شدة الخطف

(١) ليذكر القاري أن القصة أسطورة

— وى! فيتون! أى طلب هذا؟
 — لا بد!
 — محال يا ولدى! أنت حدث، ثم أنت بشرى من بنى
 الرقى! سل ملء الأرض ذهباً أمنحك ما تريد!
 — كلا، كلا... لا بد أن أسوق محفة الشمس من المشرق
 إلى المغرب ليرانى سفهاء التلاميذ، ولينأكدوا أنى ابن أبولو!!
 — إنها ستحرقك وتحرق التلاميذ إخوانك قبل أن يروك!
 — لا... لن تحرقنى، أنت قادر على أن تجعلنى أحتمل كل
 شيء! أَلَسْتَ إِلَهًا!

— بلى، ولكن...
 — لكن ماذا؟ لا بد، لا بد، محال أن أسألك شيئاً آخر!
 — يا بني إن هذا ليس فى طوقك، إنك ضعيف صغير،

والعمل الذى تطلب أن تتولاه شاق حتى على الآلهة، إني أقوم
 به والرعب يملأ قلبى، وأنا من أنا يا فيتون... إن سيد الأولب
 نفسه، الإله الأكبر، جوف، جوف، وتقدست أسماؤه،
 لا يستطيع أن يسوق عربتى اللتهبة ذات اللظى يوماً أو بعض
 يوم، فما بالك أنت؟ إن الثلث الأول من الطريق صعب المرتقى

لأنه يميل قليلاً قليلاً عن خط العمود؛ وخسلى ترقى مزالفه^(١)
 فى صعوبة ليس بعدها صعوبة؛ والثالث الثانى عال شديد العلو،
 لأنه يرتفع فوق قمة العالم، حتى لأجزع أنا نفسى من أن أنظر
 إلى أسفل تقيّة للدوار يأخذ فى رأسى^(٢) حين أرى إلى البحر
 المتمرد والبطاح للثلثة والجبال الشم تردلف من تحتى؛ أما
 الثلث الأخير فخدور شاق كهماوى الجبل إذا وقفت عليه فوق
 شَمَفَتِهِ^(٣)، ولذا فهو يقتضى الحذر وحصر البصر؛ حتى

إن تانيز الواقف فى نهايته ليتلفانى، يرتعد من الخوف على،
 والرئاء لى، خشية أن أتردى فى هاوية اللانهاية. هذا، ولا تنس
 السماء التى تجرى فوقى لستقر لها، بكل ما فيها من كواكب
 وأجرام، فإذا غفلت لحظة، أو أخطأت قيادة العربية، جردتني

فى دروتها إلى حيث لا أعلم أين تذهب أو تستقرى. ثم تدبر
 مى قليلاً يا فيتون، إذا أنا سمحت لك بقيادة العربية، فإذا بصييك
 من الملع حين تنظر إلى الشمل فترى الأرض تلف، والسباع
 تههم فى الأدغال، والناس يكظنون المدن، والآلهة تظن من
 قصور الأثير، والأشباح تسرى حواليك كالهادير؟ ماذا من

والإيتاض، ولم يدر أين يذهب؛ وكان أبوه متشجاً بوشاح
 فضفاض أرجواني، وعن يمينه وعن يساره وقت الأيام والشهر
 والسنون، ثم الساعات فى صفوف منظومة متلاحقة؛ ثم وقف
 الريح — وتخله هنا امرأة — وفوق رأسه إكليل جميل من
 النار والزهر؛ ومن يمدده وقف الصيف، وقد نضا جيب قيصه
 عن صدره، وقبض على حزمة من سنابل القمح الناضجة يمينه؛
 ثم هم الخريف مهالكاً على نفسه، وعلى قدميه أنارات من عصير
 النب... أما الشتاء، فقد بدأ شيخاً وقوراً جلال الشيب رأسه،
 وتراكم الثلج والبرد على شعره الناصع

وقد لمح أبولو ولده فيتون حيث سمر مكانه، وقد خطفت
 الأضواء بصره، وأخذ المظهر العجب الذى سحره عن نفسه،
 فهتف به ويساركة ويقول:

— فيتون! فيم قدمت يا بني! لأمرذى بال، ليس من ذاك بد؟
 — أوه! يا نور السموات والأرض يا فوبوس^(١)! يا أبى
 إن أذنت لى أن أناديك بهذا النداء! إن كنت حقاً ابنك فزودنى
 ببرهان أقدمه للناس حين أقول إني أنا ابن أبولو
 — برهان؟

— أجل، هب لى من لديك برهاناً يثبت أبوتك لى، فقلد
 استهزأ بي التلاميذ، وفضحتونى فى بنوتى لك. لا بد من دليل،
 هل تسمع؟ لا بد من دليل!

— لا عليك يا بني! لك ما أردت. على أنه كان ينبغى أن
 تصدق بكل ما قالت لك أمك؛ وأنا من جهتى لست أنكرك،
 فأنت ابني وأنا والدك، والآن سل ماشئت فانى ماحك أياً ما تريد
 — صحيح يا أبى؟

— أولاً تصدق ما أقول؟
 — بلى، ولكن ليطمئن قلبى!
 — صحيح يا بني، وأقسم لك بهذه البحيرة المقدسة التى
 يحلف بها الآلهة

فيتلفت فيتون حوله ليرى البحيرة، ولكنه لا يجد لها أترأ
 — وأين هى تلك البحيرة يا أبتاه!
 — ولد ظريف يا فيتون! أنا ما رأيتها قط، ولكننا نحلف
 بها فى كل أمر جليل يا بني!
 — إذن هب لى أن أسوق محفة الشمس يوماً واحداً بدلاً منك

(١) المزالف: المراق (٢) هذه عبارة القاموس (٣) قته

(١) أحد أسماء أبولو

الروح يعترك يا ولدي؟ هل تستطيع أن تكبح جماح الخليل أو حتى تملكه ألا يفلت الثنان منك؟ إنك ستمر بين قرني الثور أمام الحوت، وعلى مقربة من فكي العقرب وذراعي السرطان.. يا بني! هل تستطيع أن تقود الخليل التي تنفث اللهب من مناخرها وأفواهها وسط هذه الدثن الدائبة؟ اختر لنفسك يا بني ولا تجعل الناس يقولون أهلكه أبوه»

وتثبت فيتون وركب رأسه، ولم يشأ أن ينكل قيد شعرة؛ فلم يسع أبوللو إلا أن ينطلق به حيث عربية الشمس! العربية العظيمة الطهمة، المصنوعة كلها من الذهب الخالص، وقليل من الفضة المزركشة بالآلئ والجواهر، وأحجار الماس التي تعكس أشعة الشمس جميعاً فتضاعف أضواءها، وتريد كثيراً في لألائها وتقدمت ربة الفجر فتفتحت أبواب المشرق، ونضرت بالورد طريق أبوللو؟ ثم أخذت النجوم تب كاللحائم قبيل المغرب وفي أثرها نجمة الصبح فريدة كأنها الورقاء

وتلفت أبوللو إلى الساعات المنتشرة عن جانبيه، فأمرهن أن يسرجن الخليل، فأطنن، وقصدن إلى الإسطل الكبير حيث وجدن الخليل قد التهمت كفايتها من العاف المقدس، فوضعن في أفواهها اللجم، وأسرجنها بكامل عدتها وتناول أبوللو وجه ولده فنضحه بطيوب إلهية، وضمخه بدهن كريم، ثم قطر في عينيه قطرات من ماء أولب، كي يقوى الفتى على تحمل الحرارة القائفة، والصبر لضوء الشمس القوي؛ ثم وضع على رأسه الصغير هالة النور الريانية، وأشار إليه فاستوى على العربية العظيمة التي تبحر الشمس، فتتير أقطار السموات والأرض، وقال يوصيه:

«أى بني! ها قد استويت على عربية أليك التي ما قادها من قبل أحد غيره، ولا يقدر عليها أحد سواه! أى بني فاشدد إليك أعنة الخليل، وتجنب أن تلبها بهذا السوط، فهي قد مرنت على الطريق وهي لا تبطن، حتى تحتاج إلى أن تساط. أى بني ولا تنحرف عن شمالك أبداً، وظل منتهجاً سبيل الاستواء الذي هو الدائرة الوسطى من الدوائر الخمس؛ واحذر أن تملو إلى الدائرة العليا أو أن تسفل إلى الدائرة السفلى؛ وسترى آثار رحلاتي من قبل، فسر على دربها تصل إن شاء الله. أى بني ولا ترتق معارج السموات فتصيب مساكن الآلهة، ولا تهو قريباً من الأرض فتجعل كل ما فيها هشياً جُرُزاً، بل خذ الطريق الوسطى أبداً،

فإن خير الأمور أوساطها... فإذا أفلتت الأزيمة من يديك، فظل حيث أنت، ولا تذهب مذاهب شتى في رُحْب السماء. وسأتولى أنا بعد ذلك إنبارة الأرض والسموات. أى بني وما دمت قد اخترت لنفسك برغمي، فلا أقل من أن تمي نصيحتي والسلام عليك» ورد فيتون على أبيه السلام... وانطلق من أبواب المشرق وطفقت الخليل الصافنات تنفث اللظى فتموه السحب بالذهب، وتسبق أنفاس النسيم التي تهب هي الأخرى رخاءً من أبواب المشرق ومجبت الخليل بعد شوط قصير من هذا الحمل الخفيف الذي لا عهد لها به؛ ومجبت أكثر حين أحسبت بالعربة تتأرجح خلفها كالزورق الذي له ليس له صبرة^(١) تثبت به في مهب الأعاصير وججت الخليل... وانطلقت في غير طريقها المهود... ولأول مرة ارتفعت حتى كادت تلمس الدين الأكبر والأصغر، فنار نأزها من لفح الحر؛ ولأول مرة كذلك تحرك الثيبان النحوي فوق نجم الشمال حين أحس الدفء فنفت سمه الدعاف، وفرت من طريقه الكواكب... ونظر فيتون تحتها، فرأى الأرض تلف كالخذروف فريخ قلبه، ووزلت نفسه، وسقطت من يديه أعنة الخليل فجرت به في السفلى حتى اقتربت من الأرض... ونظر وراءه.. فرأى أنه لم يقطع من الثلث الأول إلا أقله؛ ثم نظر أمامه فوجد أكثر الطريق وأوعره، فزادت حيرته، وأسقط في يديه، وترك كل شيء للقصاء والقدر... وضاعف ريكته نسيانه أسماء الجياد... وحدث أن ارتفعت هذه فجأة، حتى كانت قاب قوسين من فكي العقرب، ذلك الهولة المخيف الذي أوشك يتلغ العربية بمن فيها.. وشدهت دياباً ربة التمر حين رأت عربية أخيباً تتخبط في الآفاق، وتصطدم بالكواكب، فتحدث الشهب، وتحرق العوام السابوية: «تري ماذا أصاب أبوللو؟ مسكين! لا بد أنه نام. على كل حال سيستيقظ!» ولكن العربية هبطت فجأة حتى صارت في سماء الأرض، وحتى صارت الأرض منها على مدى رمية سهم... فها هي إلا لحظات حتى شبت الحرائق في كل الأرجاء... ها هي ذى الثباب العظيمة تشتعل... وها هي ذى السن النيران ترقص في كل فج... وها هي ذى الوحوش تجري هنا وهناك ثم تسقط في كل البقاع... والمدن! المدن المأمرة الآهلة... إنها تحترق بمن فيها من شيوخ ضعفاء ونساء وولدان... أما الشباب! فوا أسفاه على

(١) الصبرة والنبارة: الحجر الذي يضمه الملاح في قمر زورقه حتى لا يميل فيرق، ويسمى العوام (الصابورة)

إخلاصى في مكافئ عبادك الذين يقيمون لك الهياكل ويتنون باسمك الصوامع والمعابد؟ ماذا من القرايين يارب الأرباب يُذبح باسمك بعد أن يهلك كل ماعلى من قطعان وأسراب ورعال؟ ثم هذه العوالم التي ما أنشأها إلا بعد عناء وجهد وكيف تدع هذه الشمس الرعناء تأتي عليها جيماً ، وتصير كل شيء في مُلكك إلى هيويل؟ استيقظ يا جوف واستمع ، وأدر كنا بلطفك هذه الساعة التي نحن فيها أشد مانكون في حاجة إليك. آمين!»

وهب جوف من سباته العميق على جوار رية الأرض ؛ وأبصر فرأى ماحل بالعالم الجليل من تدمير ووبال ... فألم وتصعد ... ونظر إلى عربة الشمس ينتفض فوقها غلام يافع عرف فيها بعد أنه فيتون بن أبولو فهاج وماج ، وأخذ صاعقة من أكبر صواعقه وأقتلها ، ثم أحكم تسديدها إلى الراكب المجنون .. وأرسلها تقصف وتمزق ... وتمز الأفلاك ... فأصاه وأرداه !! وسقط الغلام الأحمق من علو العالم يتقلب في نهر إريدانوس المتدفق في سهول إيطاليا ... حيث مات ... واستراحت الدنيا كلها منه ! وعادت الشمس إلى ربها ... أبولو السكين ... فهو يجرى بها إلى اليوم لستقر لها !!

أما كليمن البائسة ، فهي إلى اليوم تبكي ولدها ... وقد بكته معها أخواتها ، وكن في كل صباح يذهبن إلى النهر الذي سقط فيه فيسكن دموعهن ، حتى رمت هن الآلهة ، فسحرنهن إلى أبتكات ثلاث من شجر الحور ، فهن حائيات على النهر منذ ذلك اليوم حنو الرضعات على العظيم

وكلما سكين دموعهن حارت إلى كهرمان كريم وحزن سيكنوس ، صديق فيتون ، على خدن صباه ، فجمع رفاة وبنى لها قبراً من الرخام تظله الشجرات

درينى ضب

استدراك

جاء في مقال « كليلة ودمنة » المنشور بالعدد الماضي من « الرسالة » صفحة ١٦١٧ « فلا يسئنا إلا أن نذكر بمزيد الإعجاب فضل إبراهيم الصولى » والصواب « أبى بكر الصولى »

الشباب ! إنهم يجرون كالجان إلى البحار والمحيطات والأنهار والينابيع ! وهامم أولاء يقذفون بنفوسهم فيها ... ولكن ! وأسفاه ! إن مياه البحار والمحيطات والأنهار والينابيع تغلى وتفور ، ويعب عباها بالحلم ، فالشباب يستجرون فيها من الرمضاء بالنار ! لقد بادت أمم بتأمها ، واختبأت أمم في النيران والكهوف وشقوق الأرض والجبال ... أما الطيور فقد خربت أوكارها ووكناتها ، ولم يسلم منها إلا ما لاذ بأغوص أو أدحى (١) ...

ومسكينات عرائس البحار ! لقد شجبت ألوانهن ، وذوى جالهن وغُسن في الأعماق مع السمك يلتمسن الماء البارد ، ولجأت أسراب منهن إلى البحار الجنوبية ، وآترن أن يماشرن البنجوين ! ... أما قم الجبال العالية التي ظلت منذ الأزل مجللة بركام الثلج ، فقد خلت حللها الناصعة ، وحلت عمائمها المخملية ، وصارت تلهب ... فهذه طوروس السماء ، وتلك القوقاز العاتية ، وهاتيك الألب المزهوة ... كلها تلهب ... كلها تقذف بالحلم ... حتى أولب مشوي الآلهة ، لقد غدا كومة عالية جداً من النار .

ولقد كانت الصحراء اللوية فراديس يانعة ولكن فيتون المجنون حولها إلى رمال وكثبان ، ولولا أن أدخل النيل رأسه في كئيب مهيل منها لحف ماؤه ، وتبخر في السماء كله ، ليجري في كوكب آخر ! وهكذا فعل الفرات وأخوه ، وكذلك صنع الكنج والبند ... فشكراً لكل الأنهار التي ضنت بنفسها من أجل سعادة البقية الباقية من النوع البشرى !

ياله يوم قيامة؟! لقد ضجت الآلهة في الأرض ، وكلما حاول نبتيون الجبار إله البحار أن يخرج رأسه من اليم ليجأ بالشكوى إلى أخيه كبير الآلهة ، خاف وذعر أن تحرقه الشمس الهوجاء التي يسوق عربتها فيتون ... ولولا أن جازفت أمنا الأرض فبرزت من المحيطات وهتفت بجوف العظيم ، لأصاب من بقى العذاب الأليم ... لقد قالت له : « يا جوف الملى ؟ يارب الأرباب ! إصغ إلى ، واستجب لدعائى ! ما هذا الذى نامت عينك عنه فذهب بزعى وضرعى ؟ أهذا جزاء خصوبتى وماتهب عبادك من حبّ وأبّ وعنبٍ وقضبٍ وحدائق غلب ؟ ! أهكذا تكون عاقبة

(١) الاغروس عش في الأرض ، والأدحى بيت النعام